الجواهر المنتشرة في الجواب عن
الأسئلة الإحدى عشرة

تأليف العلامة

الحاج أحمد سكيرج

تحقيق

ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح في أوجه سائليه أبواب الإجابة، وسلك بمن التجأ إليه بصدق النية صواب الإصابة، نشكره وهو الشاكر المشكور، والذاكر المذكور، لا إله إلا هو أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وهو حجة الله في الخلق، (ﷺ). وكل من هو منه وإليه، ورضي الله عن أهل الله أجمعين، إلى يوم الدين.

أما بعد فقد التمس منا محبنا في الله وحبيبنا من أجله، مخلص الود، في القرب والبعد، الفقيه الفائق، والفقير الصادق، المحرز على قصبة الرهان في الطريق الأحمدي التجاني، السمي القائد الأسعد السيد أحمد بن الحسين الدويراني(1)، بلغه الله جميع الأماني. أن أجيب عن مسائل عرضت له وأشكل عليه أمرها، وانبهم عليه سرها، فلم يسعني إلا إجابته مع شغل بال، لم أجد معه فراغا لأجول معه في هذا المجال، وها أنا أذكر عقب كل سؤال من أسئلته الجواب، من غير تأنق في الخطاب، وأرجو من الله أن يعظم لي وله الثواب. وسميتها بالجواهر المنتشرة. في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة، وبالله التوفيق، وهو الهادي لأقوم طريق.

السؤال الأول عن معنى قول الشيخ الأكبر : إن لله سفراء إلى قلب عبده يسمون الخواطر، لا إقامة لهم في قلب العبد إلا زمان مدارهم عليه، فيؤدون ما أرسلوا به إلى ذلك العبد من غير إقامة بذواتهم، وعددهم سبعون ألف خاطر في اليوم والليلة، على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم. لا يزيدون ولا ينقصون، ثم قال : وعدد الخواطر خمسة وجوبا وندبا وحظرا وكراهة وإباحة. فإنه قال أولا : وعددهم سبعون ألفا، وثانيا قال : وعدة الخواطر خمسة.

وكذلك ما معنى قول الإمام القشيري(2) : والخواطر خطاب يرد على الضمائر، فقد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء الشيطان، ويكون من أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه. فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس قيل له الهاجس، وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقاؤه في القلب فهو خاطر حق، إلى آخر كلامه في الرسالة عند كلامه على الخواطر، فإنه ذكر أن الخواطر أربعة وأن منهم الشيطانية، والشيخ الأكبر سماهم سفراء. فأشكل علينا أمر الخواطر عددا وصفة إذ الشيطان لا يكون سفيرا عن الله تعالى، لهذا أريد إعطاء هذه المسألة حقها من البسط في الكلام، فإنه قد ترادفت على العبيد خواطر وهواجس ووساوس لا قبل بها، ولا طاقة لي على دفعها إلا ببركتكم وهمتكم النافذة، فوالله يا سيدي ما مرت علي لحظة بلا وساوس وهواجس وخواطر تنافي آداب الحضرة العلية، فوجه سيدي همتك إلى قلبي كي يحصل له

---

(1) الفقيه احماد بن الحسين الدويراني البركوكي، قائد قبيلة دويران بناحية مراكش، من حفدة الولي الصالح المشهور سيدي أبي يعزى رضي ا عنه، ولد بالقبيلة المذكورة عام 1307هـ وبها حفظ القرآن الكريم، ثم تعاطى لطلب العلم فأخذ على العلامة سيدي محمد الرسموكي بالمنابهة، وعلى الفقيه سيدي محمد بن عبو الشتوكي، وغيرهم، وتقلد بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد المقدم سيدي محمد اليزيدي السوسي، وكان له رحمه ا اطلاع واسع على أسرار الحروف والأسماء، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 8.

(2) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، من أئمة الصوفية وأعلامهم، وهو شيخ خراسان في عصره، ولد عام 376هـ وتوفي بنيسابور عام 465هـ، من مصنفاته : الرسالة القشيرية، في علم التصوف، والتيسير في التفسير، ويقال له التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير، وله تفسير آخر سماه : لطائف الإشارات، في ثلاثة أجزاء، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 3 ص 243-248، وفي تاريخ بغداد للخطيب ج 11 ص 83، وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج 1 ص 438 ثم ج 2 ص 186، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 390 رقم الترجمة 842، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 57.

الحضور، نعم سيدي طالعت في رفع النقاب في ترجمة سيدي عبيدة التشيتي رضي الله عنه، فيما كاتب به العارف بالله سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه أن له مؤلفا في الخواطر سماه : المدد الباهر في التمييز بين الخواطر، لم أعثر عليه، لكن مرادي من سيدي نفحة من علومك اللدنية، ونفثة من فيوضك الوهبية، وشربة من عينك الزلال النقية.

الجواب والله الموفق للصواب

اعلم أن المجيب عن مثل هذا السؤال إما أن يكون صاحب علم نقل أو صاحب عقل. فالناقل عن غيره لا عمدة عليه في أداء أمانة النقل على وجهها إذا لم يختلس شيئا من المنقول، والعلماء مصدقون فيما ينقلون، مع البحث معهم فيما يقولون، لأنهم قد يخطئون في القول، ولا يتهمون في النقل، وليس بعالم من نسب الشيء لغير قائله، أو خان في النقل بتحريف في مسائله، فيكون هنا كصاحب العقل الذي لا يؤيد ما يقوله النقل في مثل هذا السؤال، الذي ينبغي أن يكون واضحا من غير احتمال، وهذا لا يكون إلا عن علم صحيح مبني على قواعد محررة في موضوع الأسئلة باصطلاح معرفي. والعالم بذلك إما أن يكون متمسكا بعلم اليقين، أو عين اليقين، أو حق اليقين. وأصحاب هذه المراتب الثلاثة هم الذين يعتمد عليهم في تحرير الأجوبة التي تتفاوت في التحقيق بقدر تمكن المجيب في معرفته بها.

ولقد نظرت في حالي حين طالعت سؤالك إلى ما عندي من مبلغ العلم به، فوجدتني في المنزل الذي لا أثق بنفسي في الخوض في موضوعه. إذا جلت فيه بعقلي أو بما عندي من العلم به ولما هو مراجع إليه، لأن المدار في مثله على كشف صحيح، حيث لا يوجد فيه عن غير أهل المعرفة مقال، ولا عنهم أيضا نقل صريح، وإن كان حظنا هنا هو مجرد النقل، والتمسك فيه بما يقضي ببعضه العقل، حتى عزمت على الضرب عن الجواب عنه صفحا، وأطوي عنه كشحا، ولكن لحرصي على إدخال السرور عليك، بإضافة ما لدي إلى ما لديك، راجعت مظان تحقيق الجواب عن هذا السؤال، والمظان متيسرة لمن تفرغ لمراجعة كتب القوم المطبوعة وغير المطبوعة، فتحصل لدي ما سأمليه عليك، وأضعه بين يديك. فقد وجدت ما نقلتموه عن الشيخ الأكبر قدس سره، الذي سألتم عن معناه مدرجا فيه كلام الغير، مما حق لكم أن تستشكلوه، ولا موجب لذلك الإشكال، سوى ما زيد فيه من المقال، ويتضح ذلك بمراجعة الباب 264 في معرفة الخواطر من الفتوحات المكية، فقد صدر الباب بما ذكرتموه عنه إلى قوله من غير إقامة بذواتهم، وأما قولكم وعددهم سبعون ألفا إلى آخره، فهو لم يذكر ذلك في هذه الترجمة التي أشبع القول فيها بما لا إشكال فيه، ولا أحتاج إلى نقل الباب كله هنا لكون الفتوحات عندكم تقتطف باللفظ منها ما ينفي ما ذكرتموه

من الإشكال. فقد قال متصلا بنقلكم عنه من غير إقامة بذواتهم ما نصه : لأن الله خلقهم على صورة رسالة ما أرسلوا به، فكل خاطر عينه عين رسالته، فعندما يقع عليه عين القلب فهمه، سواء يعمل بمقتضى ما أتى به أو لا يعمل، وجعل الله بينه وبين هذا القلب طرقا خمسة عليها تمشي هذه الخواطر إلى القلب.

وهذه الطرق أحدثها الله لما أحدث الشرائع، فلولا الشرائع ما أحدثها الله، وجعلها كالهالة للقمر، فسمى الطريق الواحد وجوبا وفرضا، وسمى الثاني ندبا، والثالث حظرا، والرابع كرامة، والخامس إباحة، ثم عين الشيخ الأكبر قدس سره ما يرد على القلب من هذه الطرق بمراقبة ملك اليمين، ومقابلة شيطان الشمال، إلى آخر ما ذكره مما يزداد به المقام وضوحا. ولم يتعرض هنا لعدد هذه الخواطر المحصورة فيه، وإن كان لا يبعد أن يكون القلب مشبها بالبيت المعمور، يدخل إليه من ذلك ما يدخله، وتمر تلك الخواطر مرورا، وهم سفراء من الحق، لا كل شيء ينسب إليه لأنه خالقه، وما ثم شيء غير مخلوق للحق لا من ملك ولا شيطان ولا غيرهما مما لم يخطر مسماه على بال، من واردات وشواهد وحفظة، غير الحفظة المقرر اختصاصهم بكل فرد من النوع الأدمي والنوع الجني، مومنا كان أو غير مومن، من مكلف وغير مكلف. وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد يعلم العارف بعضها بإعلام الحق له بتصرف منه في حضرات معرض جنوده العلوية والسفلية، من روحانيته وغير روحانيته على خليفته في أرضه مدة حياته، مما قدر له الإطلاع عليه من كل شيء مما عند الله خزائنه التي لا نفاذ لها. وينزله بقدر معلوم عليه وبواسطته لغيره، شعر به ذلك العارف أو لم يشعر.

وقد يطلع هذا الخليفة على ما مضى من تلك الجنود الماضية في برازخ الأكوان التي قدر الحق له التصرف بها، ولا يمكن لأحد أن يطلع على جميع ما سيكون منها ولا مما كان، سوى واحد علمه الحق بها من أول النشأة إلى آخرها في الوجود، إلى يوم الدين، من يوم ألست بربكم(3)، إلى يوم لمن الملك اليوم(4) وبعده، قد أطلعه الحق عليها لأنه منه وإليه وهو سيد الوجود عليه الصلاة والسلام. أحاط علمه بكل المعلومات الحادثة، ولم يحط أحد من المخلوقات بمثل ما أحاط به عليه السلام، فهو يعسوب الأرواح، والرحمة المسداة، ولا شيء إلا وهو به منوط، ولا يقال إن الإحاطة للمعلومات لا تكون إلا للحق، لأننا قد بينا أن المعلومات هنا مراد بها الحادثة، لا ما هو معلوم للحق من ذاته وصفاته، فإن ذلك لا سبيل إلى الإحاطة به، فالخلق كلهم على اختلاف أذواقهم في المعرفة بالله وما انكشف لهم من حقائق الأشياء ومسميات الأسماء لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ولا ينازع فيما قلناه إلا فقيه واقف مع ظواهر الأمور، جهل ذلك أو تجاهل عنه لغرض يعلم الله ما مراده به، فالنبي عليه الصلاة والسلام مظهر الجود الفائض من الحق على الوجود

---

(3) إشارة لقوله عز وجل : وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، سورة الأعراف الآية 172.
(4) إشارة لقوله عز وجل : لمن الملك اليوم الواحد القهار، سورة غافر الآية 16.

وموجوداته، قد أطلعه الحق عليها إجمالا وتفصيلا، فهو العالم بها، وقد تنكشف للعارف كوة من باب مغلوقة مما يقف دونه مبهوتا حين يسمع نداء الحق للمتفضل عليه بذلك : هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب(5).

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

ثم إن الذي تقضي به عبارة العارفين ومن خاض معهم في معلوماتهم أن الخواطر التي تمد على القلب مدا لا تخرج عن الخمسة المذكورة التي أسماؤها نفس مسمياتها، ولا يخرج عنها غيرها، حتى أن غير الخواطر المارة من الواردات القارة والفارة لا تأتي من غير أبواب هؤلاء السفراء الخمس. ولكن عددها الذي يمر على القلب منها لا يبعد أن يكون محصورا في ذلك العدد الذي يدخل للبيت المعمور كل يوم. فالقلب تمر عليه الخواطر من شعور وغير شعور، ويكون أكثر الخواطر الواجبة والمندوبة في حق السعيد أكثر من الممنوعة والمكروهة في حق غيره. وكذلك نوع المباح منها في حق الوارد عليه. وقد ينقلب هذا النوع من الخواطر لأحد الأنواع الخمسة المذكورة على حسب المارة عليه من مقربين ومبعدين، ومقبولين ومطرودين، ولله في خلقه شؤون.

وليس حصر الخواطر في العدد المذكور ينافي حصره في أقل منها، لأن الواحد بالشخص لا يبعد أن يكون له جهتان أو جهات، فيقيد من جهة ويطلق من أخرى باعتبار ما ظهر فيه أو ظهر منه، فإن الحضرات التي ترد منها تلك الخواطر مختلفة الحقائق في الباطن والظاهر، فتكون محصورة بالنظر لتقابل الحقائق فيما بينها بما يقضي به التقسيم. فالواجب بلا شك غير المنع، والمندوب غير المكروه، وهكذا في المباح. ولن تجد قسما شرعيا خارجا عن هذه الأقسام، وجميع ما يتوهم أنه غيرها فهو راجع إليها، مثل ما يطلق عليه فرض أو خلاف الأولى فإنه منها وإليها. وتكون غير محصورة في القوة والضعف، وتتابع الفرد منها في خلقة أخرى، في لبس من خلق جديد(6). ألا ترى إلى تطور الإنسان في أطوار أدوار حياته، فهو فيما هو أقل من تافه تافه من أجزاء الدقائق، فما دونها إلى ما لا يكاد أن يعتبر من تافه. ذلك هو غير ما كان عليه فيما بعدها من تطور عمره. من حلوله نطفة في بطن أمه إلى وجوده، إلى موته، إلى ما بعد الموت، إلى أنواع تقلباته في النعيم أو الجحيم. وكل ذلك معلوم العدد عند الحق، وهو في كل مرتبة من مراتب ذلك العدد في خلق جديد، يشعر ببعض ما يلبسه من هذه الحلل من ذاق حلاوة المعرفة بالله، فينبسط وينقبض بقدر ما وقع عليه من التجلي في استحضار ما عليه كان وما هو عليه، وما سيؤول إليه مما تحقق به في سره أو لم يطلع عليه، فيزداد خوفا أو رجاء بحسب ما تجلى به الحق عليه، وما قطع أكباد العارفين بالله إلا الخوف من سوء الخاتمة، وقانا الله مكره، وسدل علينا ستره، آمين.

(5) سورة ص، الآية 39.
(6) سورة ق، الآية 15.

وإذا تعذر هذا لديك وهو من الوضوح بمكان، تحقق لديك أن الخواطر يختلف عددها بالإعتبار من حيثية الجهة الملاحظة في التقسيم، فالسبعون ألف خاطر من حيث كونها سفراء من الحق أرسلها لقلب عبده هي واحد معدود من نوع الخمسة التي هي من حكم الشرع الذي هو خطاب الله، بعد واحد آخر منه، أو من غير ذلك النوع، وهي أيضا خمسة بحسب الأقسام التي هي نفس السفراء المارة طبق ما قرره الشيخ الأكبر، فلم يبق إشكال فيما نقلتموه عند من عدها أولا سبعين ألفا، ثم عدها ثانيا خمسة.

وأما معنى قول الإمام القشيري في رسالته : الخواطر خطاب يرد على الضمائر إلى آخره، فهو واضح، وتفسير الواضح أتى من الفاضحات، إلا من حيثية استشكالكم لما ذكره من أن الخواطر أربعة، وأن منهم الشيطانية. والشيخ الأكبر سماهم سفراء، فقلتم أشكل عليكم أمر الخواطر عددا وصفة إذ الشيطان لا يكون سفيرا من الله تعالى.

وأما قولكم لا يكون الشيطان سفيرا من الله فذلك غير صواب، لأن كل شيء من الله، سيما وقد خاطبه الحق بقوله : فاجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم(7). ولولا تأنيس الحق له بما خاطبه به ما صدر منه شيء من الإغواء، فهو في الإغواء سفير من الحق يؤدي أمانة الشقاوة لأهلها بإذن الحق، فهو هنا ممتثل لما أمر به، لكن على وجه لا يرضى به الحق عنه، ولا عمن أغواه ممن صار من حزبه. من غير حزب الرحمان الذين خاطبه في شأنهم بقوله جل جلاله : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان(8). فكل من أغواه فهو عبد هواه، ليس من عباد الحق في شيء. والمراد بالعباد هنا عباد مخصوصون، وهم من الخلق الخلاصة على حسب تفاوتهم في العصمة والحفظ من الإسراف في المعاصي، إلى رتبة عدم القنوط من رحمة الله في حضرة مخاطبتهم بقوله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله(9).

وقد أنشد قائلهم حين سكر من خمرة الخطاب، وآوى إلى رفيع الجناب.

ومما زادني طربا وتيها	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحمد لي نبيا

(7) سورة الإسراء، الآية 64.
(8) سورة الإسراء، الآية 65.
(9) سورة الزمر، الآية 53.

فالشيطان هو سفير الحق في المعاصي، ولا يمكن لغيره أن يكون سفيرا فيها، ولهذا يقول أهل الحق : إن هاروت وماروت ليستا من الملائكة، حيث أنهما يعلمان السحر(10)، وهو من المعاصي، والملك لا يعصي الله، ولا يامر بمعصية ولا يوافق عليها، وإنما هما من الملوك الذين ملكوا أرض بابل في الأيام الغابرة إلى ما شاء الله، فتعلم منهما من تعلم السحر فيما مضى، وتعلم عمن تعلم منهم ذلك، وقد مضى زمانهم بما فيه معهم، ويدل على أنهما ليستا من الملائكة قراءة من الملكين ببابل بكسر لام الملكين، أما من قرأها بالفتح فهو إما على التشبيه بالملائكة حيث كانا يتظاهران بصفة الملائكة، فاعتقد فيهما قومهما بأنهما ملكان، وغير هذا مما قيل فيهما، حتى قال بعضهم : إنما يؤاخذان بما علماه من السحر، وبذنب من كفر على يديهما بعملية السحر الذي لا يصح إلا من كافر، مثل اليهودي الذي سحر رسول (ﷺ)، وقد شفاه الله من ذلك السحر بإرسال الملكين الذين قال أحدهما لصاحبه في حقه : إنه مطبوب وقد سحره لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة كما في الصحيح، وقد أثر فيه ذلك السحر لكونه بشر، وذلك قبل أن ينزل عليه قوله تعالى : والله يعصمك من الناس(11)، ولم يبلغ به السحر ما يبلغ بغيره، وإن كان في حال ذلك السحر يخيل له أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وليس ذلك بنقص في حقه، لأنه أخبر بذلك ليعرف الأمة بما يعمله المسحور منهم حالة سحره، وما يتعاطاه المسحور، وما يجدي على الساحر من المؤاخذة الشرعية، وكل هذا ونحوه مما استنبط من حديث سحره عليه السلام من قبيل التشريع، والحكمة في ذلك كادت أن تنطق منا بسرها خلاف ما يفهمه من أنكر حديث السحر، فوقع في إبطال الصحيح، وجر العامة على الطعن في الصحيح، فآمن ببعضه معهم وكفر ببعضه، وإن كان ما حمله على ذلك إلا محاولة المدافعة عن جانب النبوة ما لا يليق بها، مما يوقع في التشكيك فيما صدر من النبي عليه السلام فيما يتخيل له من فعله للشيء وهو لم يفعله، ولم يحمل المنكر هنا الفعل على الوطء، حيث كان (ﷺ) يغتسل من غير مس أهله، مع أن عائشة رضي الله تعالى عنها المروي هذا الحديث عنها في حقه بقولها : كان يفعل الشيء. إنما عبرت عن فهمها، وإلا فيصح أن يكون غسله (ﷺ) تشريعا لما يفعله المسحور مدة مرضه بالسحر لينجلي عنه، أو يقيض الله من يعالجه منه.

وعلى كل حال فإن السحر قد يؤثر في البشر ولو بلغ ما بلغ من المعرفة بالله، ليكون منه ومن أهله على حذر، ولا يتعاطاه إلا كافر، ولا يمكن صدوره إلا من كافر. ويتنزه عنه الملك لعصمته، وسفير الحق فيه هو الشيطان، فإن قيل إن الله لا يامر بالفحشاء، والمعاصي من قبل الفحشاء، فكيف يأمر الحق الشيطان بالإغواء ويكون سفيرا عنه ؟

---

(10) إشارة لقوله تعالى : وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، سورة البقرة الآية 102.

(11) سورة المائدة، الآية 67.

فالجواب يظهر من مناظرة الأشعري(12) للجبائي(13) من حيث قال الثاني بحضرته : سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأشعري : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال الجبائي : أرأيت إن منعني الهدى وقتلك في طريق الهدى أأحسن إلي أم أساء ؟ فقال الأشعري : إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فيفعل في ملكه ما يشاء. فالمعتزلة يقولون بصريح هذه الآية : إن الله لا يامر بالفحشاء(14)، ونحن نقول هو مقدرها، فقد قدر على بعض عباده ما هو أفحش الفحشاء، وهو الكفر به، ولم يأمر به إلا امتحانا لمن أمر به، وهو غير مأمور به قطعا، وكل من ظن أنه أمر به فقد غلط في فهمه امتحانا من الحق له، كما وقع لإبليس، فإنه أمر بالإغواء في بساط التعنيف الشديد به فظن أنه مأمور حقيقة، وقد غاب عن الرشد بما قدر عليه من الطرد، حتى قال الحق بقوله : لأغوينهم أجمعين(15)، وهو غاية في المكر به، نسأل الله العافية بمنه.

على أن الحق قدر الطاعة ولا غرض له فيها، ولا نفع يلحقه منها. وقد قدر المعصية ولا يلحقه مضرة بها، وإنما ذلك التقدير عن حكمة ينبئ عنها خطابه لخلقه في حضرة له وهي قوله تعالى : ليبلوكم أيكم أحسن عملا(16)، وغيرها من حضرات الإبتلاء، ولله في خلقه شؤون. مع أنه لم تتميز العصمة من غيرها إلا بتمييز الشرع، وقبل مجيء التشريع لم يكن شيء مما يطلق عليه معصية، ولا من تصدر منه معصية، حتى خلق الله آدم بعد إبليس بما لا يعرف قدر مدته من السنين إلا الحق تعالى، فكان أول إقرار للحق بالربوبية في يوم مخاطبة النوى بقوله تعالى : ألست بربكم(17)، فأقروا له بقولهم بلى، وأول ناطق بها سيد الوجود (ﷺ)، ولحرف الباء تقدم على غيره بالفتح الحاصل له، وقد أمده الله بالفتح اللدني فعرف قدر النعمة التي أسداها إليه، فخضع للحق وتواضع من أجله، فاكتسب حلة الكبير، فرفعه الله فجعله أول البسملة، وكساه حلة النيابة عن الألف المستتر فيها، فالرمز على الحق بتطويله بقدر طول الألف في ذكرها مع الإسم الأعظم ذي الجلالة

(12) علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد بالبصرة عام 260هـ، وتوفي ببغداد عام 324هـ، له مصنفات كثيرة تفوق ثلاثمائة تأليف منها : الرد على المجسمة، ومقالات الإسلاميين، في جزءين، ومقالات الملحدين، والإبانة عن أصول الديانة، وخلق الأعمال، وإمامة الصديق، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، وغيرهم.
أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 2 ص 245، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 326، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 187، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 263، وفي اللباب لابن الأثير ج 1 ص 52.

(13) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة، وله تنسب الطائفة الجبائية، وهي إحدى طوائف المعتزلة، ولد بجبي من قرى البصرة عام 235هـ، وبها توفي عام 303هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 480، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 125، وفي اللباب لابن الأثير ج 1 ص 208، وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج 2 ص 35، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 256.

(14) سورة الأعراف، الآية 28.

(15) سورة الحجر، الآية 39.

(16) سورة الملك الآية 2، وسورة هود الآية 7.

(17) سورة الأعراف، الآية 172.

الجامع لجميع الإجلال بأنواع الكمال، وترجع إلى هيئتها إن ذكرت مع اسم آخر، وتظهر تلك الألف من أجل هذا السر لا من حيثية كثرة الإستعمال، فطالت مع حذفه في بسم الله، وقصرت مع ظهوره في مثل باسم ربك الذي خلق.

وما من محل ذكرت الباء فيه مفتوحة إلا وتدل على فتح أبواب قبول الحق لمن تاب الله عليه، كما في سورة براءة التي تبرأ فيها الحق ورسوله من المشركين، ومع ذلك لم يسد في وجوههم الباب إذا تابوا ورجعوا. فلذلك ظهرت الباء في صدر سورة براءة إشارة إلى تلك الرحمة التي لا يقابل بها ذلك الكافر المشرك. ولكن لازال باب الرحمة مفتوحا في أوجه من تابوا إلى الله وأنابوا إليه. وفتح تلك الباء المصدرة بها براءة يرشد إليه، كما أن أول معصية صدرت في الكون صدرت من إبليس اللعين بعد أمر الحق ملائكته بالسجود لآدم، فأدخل اللعين نفسه بالفضول في زمرتهم ليمنعهم من السجود، فلم يتم مراده، حيث أنهم معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون، فطرد من الحضرة الإحسانية، فحقد على آدم، فصار يتربص به الدوائر، فدلاه مع حواء بغرور حتى أكلا من الشجرة التي نهيا من القرب إليها، فكان أكلهما من الشجرة طبق ما شاء غافلين عن القرب منها، وما أوخذ إلا من القرب لا من الأكل، ولو كان صدر لهما النهي عن الأكل منها أيضا ما قارباها، ولا أمكن اللعين أن يدلس عليهما بالأكل منها، فنسيا النهي عن قربها. ولقد أخبرهما اللعين بمقتضى علمه بكون الأكل منها يورث الملك والخلد. وأدت معرفة آدم إلى تحققه بصدق ما يقول من كون الأكل منها يؤدي إلى ذلك، ولحرصه على التحصيل على ما بشر به من ذلك الخلد والملك أكل مع زوجه منها فحصلا على ذلك، وإن وقعا في محذور المحظور من القرب منها، وهو في الباطن مأمور، فكان قربه معصية، ولم يواخذ بمثل ما أوخذ به اللعين لأنه مع زوجه خدعهما هذا اللعين بالله.

ولازال العارفون بالله يقولون : من خدعنا بالله انخدعنا له، ولصدق نيتهما وصفاء سريرتهما تاب الله عليهما لأنه لم يكن ذلك منهما عن معاندة الحق، ولا صدر منهما ذلك أيضا عن وجه يقابلان به من الحق بمثل الوجه الذي قابل الحق به اللعين من نسبته الظلم له والتعنت والإصرار، حيث لم يوفقه للتوبة، ولا خطرت على باله حين خاطبه الحق بما أباحه له من التسلط على الخلق، وكان أمر الله قدرا مقدورا(18) عليه في ذلك كله تبعا لحقيقته العامل لمقتضاها بمقتضى : قل كل يعمل على شاكلته(19)، ويحكم على نفسه بما صدر منه في الماضي والحال والإستقبال يوم يكشف عن ساق(20)، والساق هنا في نظر العارف هي حقيقته التي لا يمكن لأحد أن يخرج عنها، ولا يعمل بخلاف ما تقضي به عليه.

ولما كان الشيطان اللعين نفس حقيقته شرا محضا، والحقيقة لا تظهر حتى لأهلها إلا في القيامة، كان مظهرا للشر وسفيرا فيه، وأبناؤه مثله، ومثلهم كل من تلبس بمثل ما تلبسوا به من كل شيء من أول الأشياء لآخرها، فصاحب الأمر في الشر كما يقول الشيخ الأكبر هو الشيطان، فله التقدم، وصاحب الأمر في الخير إنما هو الملك، فله التقدم، فلا يرى نهي إلا بعد أمر، ولا عكس في مثل هذا، وقد بسط القول في هذا المعنى في الباب المذكور بما في مراجعته فوائد جمة.

---

(18) سورة الأحزاب، الآية 38.
(19) سورة الإسراء، الآية 84.
(20) سورة القلم، الآية 42.

ويجمل بنا أن ننقل عنه ما ذكره من قوله : ويسمون الخاطر الأول الهاجس، ونظر الخاطر، والسبب الأول، فما يرد من هؤلاء السفرة الكرام البررة على هذه الطرق المعينة لهذا القلب يلقى من هو عليه من ملك وشيطان ونفس، فيأخذه من بادر إليه من هؤلاء بالتلقي. فإن أخذه الملك وهو ما يقتضي وجود عمل لسعادة أوحى إليه الملك في سره : اعمل كذا وكذا، فيقول له الشيطان لا تعمله وأخره إلى وقت كذا، طمعا بمنه في أن لا يقع منه ما يؤدي إلى سعادته، وهو ما يجده الإنسان من التردد في فعل الخير وتركه، وفي فعل الشر وتركه، وكذلك إذا جاءه على طريق الإباحة فذلك التردد في فعل المباح وتركه إنما هو بين النفس والشيطان، لا بين الملك والشيطان، فإن لمة الملك ولمة الشيطان والمقابلة إنما تكون في الأربعة الطرق من الأحكام. وأما في المباح فلمة الشيطان خاصة، وما له منازع إلا النفس، وإنما كان للنفس المباح دون غيره لأنها جبلت على جلب ودفع المضار إلى آخر ما قال، وهو مع ما قبله من أول الباب بعيد للغاية.

وبما قررناه يتضح لك كلام الإمام القشيري، وتتحقق به التقسيم الذي ذكره من جهة لا تناقض ما اعتبر غيره في تقسيم الخواطر إلى الخمسة المعروفة مما يقع في النفس إلى غيرها. وهنا كتب العارف العروسي(21) في حاشيته على شرح الشيخ زكرياء الأنصاري(22). لدى قول الرسالة القشيرية، ومن ذلك الخواطر ما نصه : اعلم أنها أقسام خمسة : رباني، وملكي، وعقلي، ونفساني، وشيطاني، فالأول ما يرد على القلب بإرادة الرب، وهو لا يخطئ أبدا. ويكون من حضرة الربوبية، والحضرة الرحمانية، والحضرة الإلاهية، والفرق بينهما أن الرباني يرد بالجلال،

---

(21) مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى العروسي، فقيه، صوفي جليل، تولى مشيخة الأزهر بمصر عام 1281هـ، له مصنفات نفيسة منها : نتائج الأفكار القدسية، وهي حاشية على شرح زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية، ومن تآليفه أيضا : الأنوار البهية في أحقية مذهب الشافعية، والقول الفصل في مذهب ذوي الفضل، والعقود الفرائد في بيان معاني العقائد، وأحكام المفاكهات في أنواع الفنون المتفرقات، وغيرهم.
وكانت وفاته رحمه ا بالقاهرة بمصر عام 1293هـ، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 16 رقم 71، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 243، وفي الأزهر في ألف عام لمحمد خفاجي ج 1 ص 157، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 425 رقم الترجمة 928.

(22) زكرياء بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، حافظ، محدث، فقيه، مفسر، صوفي، قاضي، من مواليد سنيكة بشرق مصر عام 823هـ له مؤلفات كثيرة منها : تحفة الباري على صحيح البخاري، وشرح ألفية العراقي، وفتح الرحمان، وشرح شذور الذهب، وغاية الوصول، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، وغيرهم. وتوفي رحمه ا عام 926هـ أنظر ترجمته في الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي ج 1 ص 196 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 46 وفي جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 79 وفي النور السافر لعبد القادر العيدروس ص 120. وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 12 ص 62، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 457 رقم الترجمة 240، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 3 ص 234، وفي معجم المطبوعات لسركيس 483 .

والرحماني بالجمال، والإلاهي بالكمال، والأول يمحق ويفني، والثاني يثبت ويبقي، والثالث يصلح ويهدم، والعبد يستعد في الجلال بالصبر، وفي الجمال بالشكر، وفي الكمال بالسكينة، والثلاثة للعارفين، والملكي والعقلي لأهل المجاهدات، والنفساني والشيطاني أهل الغفلات، والخاطر إذا تمكن صار هما، وإذا زاد تمكنه صار عزما، وهو يصير قبل الشروع قصدا، ومع أول الفعل نية، والله أعلم.

وفي الشرح ما نصه : والهواجس جمع هاجس، وهو الخاطر، فقد يعبرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني، وهو لا يخطئ أبدا، وقد يسمى السبب وتفرد الخاطر، فإذا تحقق في النفس سموه إرادة فإذا تردد الثالثة سموه هما، ثم عزما، وعند التوجه إلى الفعل قصدا، ومع الشروع في الفعل نية إلى آخر كلامه، وكل من نظر بنظرة إجمالية أو تفصيلية رأى الخواطر لا تخرج عن تلك الأقسام الخمسة التي هي نفس الخطاب، وهي التي عددها عدد من يدخل البيت المعمور حسبما نقلتموه في السؤال.

ونحن لا نستبعد ذلك، بل النفس الواحد يسع مرور أكثر من هذا العدد عليه، ويضربه المثال الحسي في النظر إلى ما في أفق السماء من سدم ومجرة وغيرها بمرور النظر يمينا وشمالا وخلفا وأماما. فيرى الناظر ما لا يحصى في عدد من النجوم. وكل نجم من ذلك بخاطر في نظر العارف، وبجولان النظر الفكري فيما يصرفه المفكر في البلاد التي وصل إليها، مثل السفر بالفكر إلى مكة من أقصى مكان بعيد عنها، فالمسافة بينه وبينها تطوى في أقل من رمشة العين، وليس في هذا استبعاد، فأحرى ما يمر في ظرف أربع وعشرين ساعة مما مجموعه يسمى يوما، وفي هذا المثال أكثر من سبعين ألف مسالة للفهم لمن يفهم.

ولنرجع إلى ما عثرت عليه في تأليفنا رفع النقاب وهو ما نصه : ومن التآليف التي ألفها سيدي عبيدة التشيتي(23) كتابه المسمى بالمدد الباهر في التمييز بين الخواطر، وهو عندي في نحو كراس بخط اليد، أوله بعد البسملة : الحمد لله الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، إلى أن ذكر سبب تأليفه له وتسميته، مؤسسا له على ثلاثة خطط :

---

(23) العلامة العارف با سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن الطالب محمد بن محمد بن الحاج المعروف بابن أنبوجا الشنجيطي التشيتي. من أكابر علماء شنجيط، فقيه، أصولي، محدث، أديب، صوفي، له تآليف عديدة منها : ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، وميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، وراية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة، والمدد الباهر في التمييز بين الخواطر، وسيف النجاة والفدى في قطع أعناق البغاة والعدا، ورحلة التهاني في حلية الشيخ التجاني، ومنجية السالك من ورود المهالك، وله كتب أخرى ورسائل ومنظومات كثيرة : وفي حقه قال أخوه مؤلف الجيش الكفيل العلامة العارف بربه سيدي محمد بن محمد الصغير : الحمد الذي لم يمتني حتى أراني وليا عارفا من آل أنبوجا، وقال في حقه العلامة أكنسوس رحمه ا :

يا آل أنبوجا لا زالت بدوركم	تنير حيران للأنوار طلابا
ويا عبيدة نعم الرأي قمت به	قد أعجب الناس ذاك الرأي إعجابا
فوز وثبت له والناس قد رقدوا	عنه ففتهم لا زلت وثابا
لما رأيت أخاك البحر طامية	أمواجه وأردت نفع من خابا
سقيتنا الري منه لا ضمئت كما	أجريت من علمه الفياض ميزابا

وكانت وفاته رحمه ا في شهر جمادى الثانية عام 1284هـ، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 50 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي، رقم الترجمة 36.

الخطة الأولى : في ذكر النفس وماهيتها وكيفية أقسامها، وذكر القوي منها والواهي.

الخطة الثانية : في معرفة الخواطر والتمييز بينها عند الناظر.

الخطة الثالثة : في كيفية مدافعة ما يدافع منها بكيفية لا محيد للمريد عنها.

وفي أثناء كلامه على الخواطر تكلم على الثابت منها والمتردد، وأحسن ما وقفت عليه فيه قوله في مدافعة الخاطر النفساني الذي أمره صعب على النفس تحمله إن ثبت معها ولم يكن من الخواطر المارة، ونصه : ومدافعة الخاطر النفساني يكون بكل مجانس لقمعه بالرياضات والمجاهدات، من السهر والجوع والصمت والعزلة، كل في محله مع اللجوء إلى الله تعالى، وهذا في الزمان الأول قبل أن تغلظ الطباع، وتستولي النفوس، وتنتشر العلائق، وتشيع العوائق، وتكثر أعوان الشر، وأما في زماننا اليوم فلا تدافع إلا بدوام اللجوء إلى الله تعالى، والتشبث بأذيال رسول الله (ﷺ)، وبحرمة الشيخ، فإن النفس كالكلب المسلط، فالاشتغال بمحاربته تعب وتضييع للوقت، فالرجوع إلى ربه في حذفه أولى من مجاهدته إلى آخر كلامه مما يصدق عليه قول الحكم : من دلك على الله فقد نصحك، ومن ذلك على غيره فقد غرك.

فلنقف عند هذا الحد الذي هو غاية في الجد، ونحيلك على مراجعة هذا التأليف، فقد أشبع الكلام في هذا المقام بأفصح مقال، ولخص في الخواطر ما عند غيره من علماء الظاهر، ولم يعط الخواطر حقها من الجهات التي تكلم عليها الشيخ الأكبر والقشيري إلا تلويحا، وإني ليسرني كثيرا اعتناؤك بنفسك في طلبك لما تدافع به الخواطر، ولا أجد نافعا لك في دفع ما يشغلك عن الله منها إلا ما ذكره سيدي عبيدة المتقدم الذكر من اللجوء إلى الله والتمسك بحبل رسول الله (ﷺ) وحبه، فإن الإعتصام به اعتصام بالله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، ودليل صدق المعتصم به تمسكه بحبل الدين بامتثال الأوامر واجتناب النواهي بقدر ما في الإمكان، وما تقرب العبد إلى مولاه بأحب إليه مما افترضه عليه. ولا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، وإني أرى أن أعظم النوافل هي الصلاة على حبيبه الأعظم (ﷺ)، خصوصا بصيغة صلاة الفاتح لما أغلق، فالإكثار منها يقي مصارع المكر، ويدفع كل شر، ويجلب كل خير من خيرات الدنيا والآخرة، فعليك بها تقربا للحق في السر والجهر، والله الموفق.

السؤال الثاني : عن معنى قول العارف بالله سيدي محمد بن مشري(24) في شرح الياقوتة، ونصه : ولصلاة الفاتح لما أغلق خاصية عظيمة للسالكين، ولكن لا تحصل إلا بإذن، فلذلك لم أذكرها هنا، أريد من سيدي تبيين هذه الخاصيتين مع الإذن فيها إن كانت لدي أهلية، وإن لم أكن أهلا فسيدي أهل. وكذلك ما معنى قوله رضي الله عنه : وقد أخرج لنا صاحب هذا التأليف صلاتين عظيمتين سمعهما من سيد الوجود (ﷺ)، هما أقصر من هذه الياقوتة بكثير وأعظم منها فضلا، وفيهما خواص عظام، فإنه أشكل علينا قوله أقصر وأعظم، لأن جوهرة الكمال وياقوتة الحقائق المشار إليهما بهذا الكلام أطول، وهي أقصر وأعظم منهما بلا ريب.

الجواب : اعلم أن العارف ابن مشري المذكور جرى في الترغيب في ذكر صلاة الفاتح لما أغلق مجرى المرغبين في الأذكار بكتمانهم للخواص المنوطة بها، فقد جرت عادتهم في الترغيب في الشيء والحض على كتمانه والتشديد في شروطه، والمراد بذلك زرع حب الإقبال على ذلك ليرغب فيه أهله بعظيم تشوف. أما غير أهله فإنهم يرون الباب مسدودا في أوجههم، ويزهدهم فيه ما ينقدح في بواطنهم من تلك الشروط المنفرة لهم، مع فقد من يساعدهم في نظرهم عليها بإذن خاص وعام، فيعرض عنها لأنه ليس من أهلها، وهكذا الأمر في كل ذي سر وكل خاصية رفيعة القدر، فإن الأسرار تدافع عن نفسها غير أهلها.

ولكن في نفسي من بعض الأذكار التي كتموها شيء، خصوصا فيما هو منوط به الثواب الأخروي ولا تقصد منه بعض الخواص الدنيوية، مثل هذه الصلاة العظيمة، فكان من حق المرغبين فيها ذكر ما هو خاص بها من أسرار عالية، وخواص غالية، من غير ضرب سور الكتمان على ذلك، لينتفع بذلك العموم مثل انتفاع الخواص، اللهم إلا من حيثية إشفاقهم على العارفين بتلك الخواص مما لا تقبله آنيتهم، فإن كثيرا ممن راموا تحصيلها بعد الإطلاع عليها تضربهم، فالأليق بهم ترك الخوض في ذلك، ولا يطلبون الإذن فيها من غير قيامهم بشروطها.

---

(24) العلامة الفقيه العارف با القدوة الشريف الجليل سيدي محمد بن محمد بن المشري الحسني السائحي السباعي، مؤلف كتاب الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، فهو رحمه ا من مواليد قرية تكرت بناحية قسنطينة شرق بلاد الجزائر، التقى بالشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، بتلمسان عام 1288هـ، ولقنه الطريقة الخلوتية. وبذلك كان أول من اجتمع به من خاصة أصحابه الكرام.
وبعد ثمان سنوات من التاريخ المذكور كان رحمه ا من أوائل الآخذين عنه الطريقة الأحمدية التجانية، واتخذه الشيخ أبو العباس التجاني رضي ا عنه إماما للصلاة مدة غير قصيرة، وله رضي ا عنه تآليف كثيرة أخرى كروض المحب الفاني، ونصرة الشرفاء، وغير ذلك، وكانت وفاته ليلة الإثنين فاتح ذي القعدة الحرام عام 1224هـ، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 149 وانظرها في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 25 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس العلامة ج 1 وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة أيضا رقم الترجمة 168، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي رقم الترجمة 11. وقد خصصه العلامة سيدي محمود بن المطمطية بتأليف سماه : المطلع البدري في التعريف بابن المشري.

وتلك الخاصية التي حام حولها فيما بلغنا عن خواص المقدمين في الطريقة التجانية هي الفتح على ذكراها بكيفية خصوصية، في أيام مخصوصة وأمكنة خاصة للإجتماع بسيد الوجود (ﷺ) يقظة، وهذه الكيفية لاينبغي لمطلق الناس أن يعمل بها إذا اطلع عليها، وإنما اشترط فيها ممن لديه الإذن فيها ليتحقق بأهليته لذلك الإجتماع الشريف، أو لا أهلية فيه خشية عليه من النور الذي يفاجئه في الملاقات، مما لا يقدر على حمله، ويخشى عليه فيه أن تخرج روحه، أو يغمى عليه فيه عند حضوره لديه.

وقد بلغنا عن السلطان مولانا سليمان(25) رضي الله عنه أنه كان حريصا على الإجتماع برسول الله (ﷺ) يقظة، وكان أهم شيء لديه أن يسأله هل هو من آله؟ بعد أن أخبره الشيخ التجاني رضي الله عنه بأنه سأل النبي (ﷺ) عن ذلك فقال إنه من أبنائه، فطلب من الشيخ المذكور أن يعلمه بكيفية الإجتماع به، ويدله على الذكر الخاص المنوط برؤيته يقظة. فشرط عليه الشيخ المذكور شروطا كادت أن تبعث فيه يأسا للتشديدات الواقعة فيها. إلى أن ظفر بالسر المنوط بذلك، فاختلى في خلوة ذكره، فبينما هو مستغرق في ذلك إذ أشرق عليه النور المحمدي، فوضع على عينيه يده وطفق يصلي على سيد الوجود متيقنا بأنه هو، وكاد أن يغمى عليه لولا ما فيه من الثبات مع التوفيق الإلهي، حتى سمع من الجناب المقدس : أنت ولدي حقا، فتمت له بذلك البشرى، وهنيئا له بذلك دنيا وأخرى.

ومثل هذا السيد ممن يستحق أن يؤذن له في ذلك لما فيه من الأهلية ممن يقوم مقام الشيخ رضي الله عنه، أما نحن وإن كنا بحمد الله نعلم الطريق الموصلة لذلك فإنه لا إذن لنا في استعمال تلك الكيفية المشار لها، أو الإذن فيها منا لغيرنا، لأن المقام مقام جد لا مقام لعب، ومن أراد التداخل في مثل هذا الأمر بنفسه فلا يلومن إلا نفسه، فالحذر الحذر أيها الولي الحميم من عمل أي كيفية توصل للاجتماع بالنبي (ﷺ) يقظة، فإن آنية أهل هذا العصر تنصدع بأدنى مس من المتشوف إليه في الإجتماع به في عالم الحس، كفاك أن تكثر من ذكر هذه الصلاة الياقوتة الفريدة إن أردت السلامة لنفسك، والحمد لله على الحجاب، فإن الفتح صعب وإن كانت فيه راحة كبيرة، بل هو كما يقول الشيخ الأكبر في أنشودته :

إن الفتوح هو الراحات أجمعها ... وهو العذاب فلا تفرح إذ وردا

---

(25) السلطان العادل أبوالربيع سليمان بن محمد بن عبد ا بن إسماعيل العلوي، من سلاطين الدولة العلوية الشريفة، بويع له بفاس عام 1206هـ، وتوفي بمراكش يوم الخميس 13 ربيع الأول عام 1238هـ، وله رحمه ا مؤلفات منها : عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 380 رقم الترجمة 1523، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 495-501، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 216، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 9، وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 67، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 980 رقم الترجمة 557.

وقد أخبرني شيخنا العارف با سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي(26) عن بعض الإخوان له دكان يبيع فيه الزيت والصابون، وجعل محلا في داخل الحانوت لقراءة جوهرة الكمال. فجاءه يوما وهو يرتعد من فزع عظيم حصل له بمشاهدة الرسول (ﷺ) مع الخلفاء الأربعة، وأبو بكر يعاتبه على إحضار النبي (ﷺ) في ذلك المحل بتلاوة جوهرة الكمال فيه، فطفق شيخنا المذكور يطمئن نفسه ويخفف عنه جزعه، ولم يلبث ذلك السيد إلا نحو ثلاثة أيام وتوفي رحمة ا عليه، فتحقق لدينا أنه من الألطاف الإلهية عدم مشاهدتنا للطلعة الشريفة يقظة حال قراءة جوهرة الكمال والصلاة الفريدة، وإني وإن كنت أعتقد أنك أهل للتحصيل على هذه المزية وهذه الخاصية الكبرى، ولكن الشفقة على أنفسنا من جهة الشفقة عليك توجب النصح لك بما نبهناك عليه، وأرشدناك إليه.

أما الصلاتان اللتان أخرجهما صاحب مؤلف التأليف المذكور، وسمعهما من سيد الوجود (ﷺ)، وهما أقصر من الياقوتة الفريدة وأعظم منها. وقد أشكل عليك في كون جوهرة الكمال وياقوتة الحقائق(27) أطول من الياقوتة الفريدة، وهي أقصر منهما وأعظم فضلا. فإن الصلاتين اللتان أخرجهما غير الصلاتين اللتين ذكرتهما بلا شك. أما أحدهما فهي الصلاة الجامعة(28)، وقد من ا بها علينا، إلا أنه لا إذن لنا في الإذن بتلقينها للغير. وأما الصلاة الثانية فقد طالما بحثت عنها فلم أعثر على من لديه علم بها من غير المدعين لمعرفة الأذكار والأسرار، ولم أحصل على إذن خاص فيها حتى يمكنني الإذن لكم فيها وفيما قبلها. وقبل عثوري على الصلاة الجامعة كنت في اهتمام من أجلها حتى شاهدت شيخنا العبدلاوي في رؤيا في الزاوية الشريفة في جمع حفيل، وهو جالس قبالة الضريح الشريف بسارية الذهب(29). فقال لي أو قيل لي بمحضره : إن الصلاة الجامعة هي بهذه الصيغة : اللهم صل على سيدنا محمد الجامع لجميع الأسماء والمسميات، وعلى آله وصحبه وسلم، فاستيقظت وأنا حافظ لها، فأخبرته رضي ا عنه، فتبسم في وجهي وقال لي : إن الصلاة المذكورة غير هذه الصيغة، ثم أخبرني بها. وما أدري هل أجازني فيها على الخصوص، أو داخلة في عموم ما أجازني به، ولذلك لم أستعملها للتحصيل على خاصيتها التي هي

---

(26) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا المؤلف.

(27) صيغة من صيغ الصلاة على النبي (ﷺ)، وتسمى : ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق، أولها : ا ا اللهم أنت ا الذي لا إله إلا أنت العلي في عظمة انفراد حضرة أحديتك إلخ ... وهي من الأوراد الإختيارية في الطريقة الأحمدية التجانية، أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم ج 2 ص 226-260، حيث أتى بشرح نفيس عليها أملاه عليه شيخه العارف با أبو العباس التجاني رضي ا عنه، وسماه : جوهرة الحقائق في شرح ياقوتة الحقائق، وللعلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون شرح آخر عليها طبع على الحجر بفاس.

(28) سبقت الإشارة إليها في ج 1 ص 316 من هذا المؤلف.

(29) حول سبب تسميتها بسارية الذهب قال العلامة سكيرج : اعلم أن سيدنا رضي ا عنه لما شرع في بناء الزاوية المباركة، أمر بحجر فصنع على هيئة مخصوصة، ثم نقش فيه اسم ا العظيم الأعظم، ثم كتب معه : اللهم إني أسألك يا مولاي بحق اسمك العظيم الأعظم أن تحفظ أصحابي من قاف إلى قاف، ثم أمر به فدفن في أساس جدار الزاوية المباركة، وقيل فوق الحائط هناك، وممن حضر نقشه ودفنه بالزاوية، الشريف البركة، المقدم في صدر المكرمات في السكون والحركة، سيدي عمر حفيد القطب الكبير، والعارف الشهير، سيدي عبد العزيز الدباغ رضي ا عنه، وأفراد من أمثال الخاصة من أصحاب سيدنا رضي ا عنه.

ولعل الموضع الذي دفن فيه هذا الاسم العظيم هو السارية الثانية، عن يمين المقابل للضريح الشريف، المعروفة عند الخاصة بسارية الذهب، إلخ ... أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 55.

الإجتماع برسول ا (ﷺ)، كما يعمل بها الواسطة المعظم صاحبها سيدي محمد بن العربي الدمراوي(30) رضي ا عنه، كان يقرؤها فيجتمع به يقظة، فكان يجتمع به في اليوم أربعا وعشرين مرة مع صغر سنه، وذلك من فضل ا عليه بمحبة الشيخ التجاني رضي ا عنه حسبما بلغنا ذلك على لسان الثقاة من مقدمي الطريقة المحمدية التجانية.

فتبين لك بحمد ا أن الصيغة الخاصة بالسالكين التي لا تنال إلا بإذن خاص هو ذكرها عددا خاصا للإجتماع برسول ا (ﷺ) يقظة، وأن الصلاة القصيرة من الصلاتين المشار إليهما هي الصلاة الجامعة، والفضل المنوط بها في الأفضلية إنما هو من حيثية تقريب المسافة على السالك في الإجتماع بسيد الوجود (ﷺ). ولا ينبغي مجادلة ما في الخواص، ولا من يعارض فيها بكون الرسول (ﷺ) لا يحضر لتاليها. فالإعراض عن مثل هذا المنتقد من المتعين، وكفاه حرمانا وجود غيره المصدق بالخواص ما لم يجده، وبا التوفيق.

السؤال الثالث : حصل لنا إشكال في قول الشيخ الأكبر قدس سره، فإنه بعد أن ساق حديث أعمار أمتي بين الستين والسبعين وأقلهم من يجاوز ذلك. قال : اعلم أن هذا الحديث إشارة إلى أمر الإختصاص، وهم الأولياء المحمديون خاصة، فمن زاد على السبعين سنة فما هو بمحمدي المقام، وإنما هو وارث لمن شاء ا من الأنبياء من آدم عليه السلام إلى خالد بن سنان(31) عليه السلام إهـ ... كلامه. والإشكال المذكور هو طلب سيدنا رضي ا عنه التعمير ثمانين سنة من ا تعالى، واستجاب ا دعاءه، فلم ينتقل رضي ا عنه من هذه الدار حتى جاوز السبعين إلى الثمانين، ولا شك عندنا أنه من كبار الأولياء المحمديين.

الجواب : اعلم أن هذا السؤال طالما أورده الوارد علي وأنا في حيرة منه، وكنت أظن أنه لا يتفطن له أحد لا من إخواننا التجانيين ولا من غيرهم. ومنذ تعرفنا بكم وعرفت ما أنت عليه من صدق المحبة في هذا الجناب، وخوضك في بحر المعارف، ومطالعة كتب القوم التي ما حرم منها إلا مغبون الصفقة. فخسر منها خيرا كثيرا وربحا عظيما. وأنا أقول : ربما تلقي علي هذا الإشكال أو ألقيه عليك، لعل أن نطرح عنا فيه ثقيل الإشكال. فكان الأمر كما تفرسته فيك، فتعين الجواب عنه بما فتح ا به إقناعا لكم. وقمعا للمنتقدين من الذين لو وقفوا إليه أو وقفوا عليه لأقاموا ضجة على الإخوان بقطع الطريقة عنهم به، وشوشوا أفكار العامة بينهم، ولابد أن يفعلوا بعد مطالعتهم لإشكالك ويكتموا الجواب عنه، أو يزيدوا فيه وينقصون على عاداتهم فيما به على المريدين يشوشون.

---

(30) سبق التعريف به في ج 1 ص 312 من هذا المؤلف.

(31) خالد بن سنان العبسي، من أنبياء العرب في عهد الجاهلية، كان في أرض بني عبس يدعو الناس إلى دين عيسى عليه السلام، وقد قيل أنه لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره قبل سيدنا محمد (ﷺ)، وقال ابن الأثير في تاريخه : من معجزاته أن نارا ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها، وكادوا يدينون بالمجوسية، فأخذ خالد عصاه ودخلها ففرقها وهو يقول : بدا بدا، كل هدي مؤدى، لأدخلنها وهي تلظى، ولأخرجن منها وثيابي تندى، وطفئت وهو في وسطها، وثبت في الحديث الصحيح أن حفيدة النبي خالد بن سنان وفدت على رسول ا (ﷺ)، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وقال : ابنة نبي ضيعه أهله، وفي رواية أخرى : مرحبا بابنة أخي، أنظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 : 466 -469، وفي تاريخ الخميس لحسين بكري ج 1 ص 199 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 296.

وإذا كان لديك العلم بمعرفة الولي المحمدي والتفرقة بينه وبين غيره فكثير من الناس لا يعلمون ذلك. فلهذا لا بأس بذكر فذلكة منوطة بتمييز القطب المحمدي من غيره هنا، فإن الأقطاب المحمديين على نوعين كما قاله الشيخ الأكبر قدس سره : أقطاب بعد بعثة النبي (ﷺ). وهم من أمته إلى يوم القيامة. وهم اثني عشر في كل زمان، قلب كل واحد منهم على قلب واحد من الأنبياء عليهم السلام، وأقطاب قبل بعثته عليه السلام، وهم الرسل، وعددهم 313 نبيا. ثم القطب الذي لا يكون في كل عصر منه إلا واحد من المحمديين ليس هو من هذا العدد، لأن القطب المحمدي هو الذي ورث النبي سيدنا محمدا (ﷺ) فيما اختص به من الشرائع والأحوال، مما لم يكن في شرع تقدمه، ولا في رسول تقدمه.

ومما يتميز به القطب المحمدي عن غيره أنه لا يتميز بمقام، ومقامه أن لا مقام، فهو كالحرف، ترك العلامة له علامة، فلذلك لا يعرفه أحد إلا بتعريف منه، فإذا تقرر هذا وهو زبدة ما عرف به أهل الحق القطب المحمدي نقول : ما عرفنا الشيخ قطبا محمديا إلا بالإخبار عن نفسه بذلك. فهو قطب محمدي من أمة الإختصاص، ولا إشكال في ذلك إلا من حيثية النقل الذي ذكرتم عن الشيخ الأكبر في حمل الحديث المذكور على الأولياء المحمديين، وأنت إذا أمعنت لنص الحديث الذي يصرح فيه بأن أقلهم من يجاوز ذلك تحقق لديك أن الشيخ قدس سره من الأقلية الذين جاوزوا السبعين. فقول الشيخ الأكبر فمن زاد على السبعين سنة فما هو بمحمدي المقام محمول على أكثر الأولياء، لا على الأقل منهم.

وقد عرف الشيخ التجاني أن الأكثر من المحمديين لا يتجاوز عمر النبي (ﷺ)، فلا يتجاوز الثلاث والستين عاما، وهاهنا جواب آخر وهو أن خاصة أهل الإختصاص من هذه الأمة يشملهم حكم العامة منهم. فالقطب المحمدي لا يتنزل منزلة مطلق الولي المحمدي، وكلام الشيخ الأكبر في مطلق الأولياء المحمديين الذين هم أمة الإختصاص. فهو لم يتعرض في حمل الحديث إلا لعموم الأولياء المحمديين. وقد يختص الخواص منهم بما ليس لعمومهم، وهناك جواب آخر، وهو أن كلام الشيخ الأكبر في الولي المحمدي المقام، وقد عرفت أن القطب الخاص من المحمديين لا مقام له يتميز به عن غيره إلا بتعريف منه بقطبانيته.

وقد أعرب الشيخ التجاني رضي ا عنه عن ولايته المحمدية وقطبانيته وختميته وكتميته، فلم يبق إلا تصديق المعتقد لما أخبر به عن نفسه اقتداء بالنبي (ﷺ) في قوله : أنا النبي لا كذب، حيث أعرب عن نفسه، فصدقه من أراد ا سعادتهم، وأما المنتقد المكذب فلا كلام لنا معه، ثم إنه لا يخفى عنك أن أمر القطب التجاني الذي ثبت لدينا أنه هو الختم المكتوم قد خفي أمره.

وقد تتبع الشيخ الأكبر جميع ما لديه من الطرق العرفانية من كشف وغيره، وتطبيق القواعد المحققة لديه، فلم ينفعه إلا الرجوع إلى العجز عن تعيينه وتعيين زمانه، فسماه مكتوما، فقد انخرقت فيه عادة معرفته مما قرره حتى في قاعدة عدم تجاوز عمر الولي المحمدي السبعين، فلا يدخل عمر الشيخ التجاني في هذه القاعدة التي بنى عليها في تمييز المحمديين من غيرهم في الزيادة على السبعين في العمر، مع أن الشيخ الأكبر أيضا لم يستوفي ذكر الأقطاب المفتوح عليه في التعرف بهم من زمانه إلى يوم القيامة.

وقد ذكر السبب المانع من ذلك في الباب 555 من الفتوحات المكية، ولا بأس أن ننقل هنا من كلامه ما يعرف به الخائض في الأولياء ظهور العارفين مما يوقع الناس في محذور، مما جعله ا في قلوبهم من الشفقة عليهم، فإنه قال رضي ا عنه ما نصه : ولابد في كل زمان من وجود قطب يكون عليه مدار ذلك الزمان، فإذا سميناه وعيناه قد يكون أهل زمانه يعرفونه بالإسم والعين ولا يعرفون رتبته، فإن الولاية أخفاها ا في خلقه، وربما لا يكون عندهم في نفوسهم ذلك القطب بتلك المنزلة التي هو عليها في نفس الأمر، فإذا سمعوا في كتابي هذا بذكره أداهم إلى الوقوع فيه، فينزع ا نور الإيمان من قلوبهم، كما قال رويم(32)، وأكون أنا السبب في مقت ا إياهم، فتركت ذلك شفقة مني على أمة محمد (ﷺ). وما أنا في قلوب الناس ولا في نفس الأمر ولا عند نفسي بمنزلة الرسول (ﷺ) يجب الإيمان بي عليهم وبما جئت به. ولا كلفني ا إظهار مثل هذا فأكون عاصيا بتركه، ولا هذه المسألة بمنزلة قوله تعالى : وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر(33). إلى آخر مقاله(34)، فقد ترك له قدس سره للسبب المذكور تعيين جل الأقطاب، فأحرى تعيين القطب المكتوم، إلا ما ذكره في حقه من كونه رآه كثير الإنكار عليه من الناس عندما تكلم عليه في غير هذا الباب.

وهاهنا أيضا إشكالات قلما تفطن لها كل من المعتقد والمنتقد، ليصرح الأول برفعها، ولا يقنع الثاني بالجواب بدفعها إلا مع إنصاف، وقلما أنصف المنكرون، فقد ذكر الشيخ الأكبر في الباب 463 من الفتوحات المكية أنه ليس في الأقطاب من هو على قلب محمد (ﷺ). وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد (ﷺ). والختم منهم أعني ختم الأولياء الخاص، وقال قبل هذا الكلام : وأما المفردون فكثيرون، والختمان منهم أي من المفردين، وما هما بقطبين، فكيف الجواب عن كون القطب التجاني محمديا على قلب النبي (ﷺ)، وهو ختم، والختم غير القطب طبق ما

---

(32) أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم، بغدادي الأصل، صوفي شهير، من كلامه : من حكمة الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة عليهم اتباع للعلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع، وسئل رضي ا عنه عن المحبة فقال : هي الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد :

ولو قيل لي مت قلت سمعا وطاعة   وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

توفي رحمه ا بالشونيزية عام 303هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 88 رقم الترجمة 168، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 37، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 180.

(33) سورة الكهف، الآية 29.

(34) أنظر الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ج 4 ص 194.

صرح به الشيخ الأكبر هنا، فنقول : إن الختمين الذين هما غير قطبين ختمان خاصان من الأفراد بدليل قوله : والختم منهم، أعني خاتم الأولياء الخاص، والختم التجاني كما علمت قطب فرد، بل هو القطب الجامع الحائز لكمال الظهور في الختمية طبق ما أخبر بذلك عن نفسه. وحددناه في غير محل من تآليفنا، وبالأخص تأليفنا المعنون بنهج الهداية في ختم الولاية(35)، فهو بلا شك عندنا أنه القطب المحمدي الختم الأكبر، حسبما علمناه وصدقنا به وا أعلم.

وذكر الشيخ الأكبر أيضا في الباب 557 من الفتوحات المكية في ختم الأولياء على الإطلاق أن عيسى عليه السلام لا يختم إلا ولاية الأنبياء والرسل. وخاتم الأولياء المحمدي يختم ولاية الأولياء لتتميز المراتب بين ولاية الولي وولاية الرسل. فإذا نزل وليا فإن ختم الأولياء يكون ختما لولاية عيسى من حيث ما هو من هذه الأمة حاكما بشرع غيره، كما أن محمدا (ﷺ) خاتم النبيئين، وإن نزل بعده عيسى. كذلك حكم عيسى في ولايته بتقدمه بالزمان خاتم ولاية الأولياء وعيسى عليه السلام منهم(36). فكيف الجواب عن كون القطب التجاني خاتما للولاية المحمدية قبل عيسى عليه السلام ؟ فنقول إن سوء التعبير وسوء الفهم لازال يوقع الناس في تحير كبير، ولازال الناس إلى الآن لا يفرقون بين خاتم الأولياء وبين خاتم الولاية، وكثير من الجهال لا يعلمون أن الختمية رتبة من مراتب الولاية، كالقطبانية وغيرها، ومن وصل إلى تلك المرتبة يسمى ختما أو قطبا وهكذا في سائر مراتب الولاية، لا أنه خاتم الولاية، لا ولي بعده، فهذا غير مقصود لا للقطب التجاني، ولا لأحد من أصحابه العارفين بمقاله ومقامه، والذي تكلم عليه الشيخ الأكبر من الأختام هو غير الشيخ التجاني قطعا، ويحتاج في بيان ذلك بسط كلام. لا نبخل منه هنا بما يتضح به المقام، وإنني وإن لم أكن وليا في أدنى مقام، فأحرى أن أزاحم مناكب الأختام، فقد من ا علي بتحصيل ما في الموضوع من كلام.

فنقول إن الأنبياء عليهم السلام لهم نبوة وولاية، كما للرسل رسالة وولاية، ثم للأولياء ولاية هي دون ولاية الأنبياء التي هي دون ولاية الرسل. فالنبي ولي كالرسول من جهة ولايته، ولاحظ للولي غير النبي في نبوة النبي، كما لاحظ له في رسالة الرسول، إلا من جهة الإرث المختص به من جهة ولاية الجميع، وإن تفاوتت في المقام وعلو المكانة، ومتى أطلق الولي من غير قيد حمل في كل محل على ما يناسبه، ولا يتسارع للإنكار إلا جهول، فإذا قال قائل إن الولي هو خالق الوجود أو موجده أو نحو هذا مما هو خالص با تحقق المومن الحقاني بأن المراد بالولي هنا هو ا تبارك وتعالى، لأن الولي من أسمائه، وقد يلبس مطلق الأولياء من عباده حلة من حلل أنوار هذا الاسم، فيتصرف في الكون تصرف مولاه الذي ولاه، بمقتضى كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، إلى آخر الحديث القدسي القاضي بهذا من غير تأويل.

فلا جرم أن الأنبياء أولياء، لذلك قال من قال وهو الشيخ الأكبر في الفصوص وغيرها وتبعه أنصاره : الولاية أفضل من النبوءة والرسالة، ومقصودهم ولاية النبي أفضل من نبوته،

(35) أنظر ج 1 ص 96 من هذا المؤلف.
(36) أنظر الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ج 4 ص 195.

وولاية الرسول أفضل من رسالته، من جهات مفهوم بعضها وبعضها مكتوم، حيث يقولون إن النبوة مع الرسالة تنقضي بوفاة صاحبها، بخلاف الولاية فهي لصاحبها دنيا وأخرى. وفي اضطراب فهم ما قالوه هنا زلت أقدام بإنكار العامة على الخاصة، ونتبرأ إلى ا من كل ما يقضي إلى سوء الأدب المؤدي إلى فساد العقيدة في ساداتنا الأنبياء عليهم السلام.

وقد قضى علينا الإيمان بنزول عيسى عليه السلام حاكما بالشريعة المحمدية أن نصدق ساداتنا أهل ا فيما أفادونا به من كونه معدودا من هذه الأمة من أوليائها، لا أنه نبي أو رسول فيها، فإن الأنبياء ختموا بالنبي سيدنا محمد (ﷺ)، وهو كما قدمناه خاتم الولاية. ومن قال فيه خاتم الأولياء فقد ساء تعبيره، بخلاف خاتم الأنبياء في حق سيد الوجود، فيقال فيه خاتم النبوءة وخاتم النبيئين، ولذلك قال الشيخ الأكبر في حق عيسى عليه السلام : لا يختم إلا ولاية الأنبياء والرسل. فهو خاتم لولاية النبي (ﷺ) كما ختم النبي (ﷺ) نبوة هذا الخاتم. فهو غير نبي في هذه الأمة، أما الخاتم المحمدي وهو غير عيسى عليه السلام فهو خاتم لولاية عيسى. إلا أن قول الشيخ الأكبر المتقدم (من حيث ما هو من هذه الأمة) لعل لفظة ما زائدة هنا حسبما ظهر لنا وا أعلم.

وما قلناه من أن الخاتم المحمدي خاتم لولاية عيسى ليس فيه غموض ولا إبهام، لأنه من جملة الأولياء، والخاتم المحمدي خاتمة لولاية الجميع، وعيسى عليه السلام منهم، وهذا الخاتم المحمدي متقدم على عيسى في الوجود، وغير مستبعد وقوع ختمية المتقدم لولاية المتأخر في الوجود حسبما يفهم من كلام الشيخ الأكبر هنا، ولاشك أن مراده بخاتم الأولياء هنا غير الختم التجاني رضي ا عنه، فإن الختم التجاني خاتم الأولياء لا خاتم الولاية، فله قدس سره كمال الظهور في مرتبة الختمية التي يتصف بها كل من حل في رتبتها كما بيناه وا أعلم.

السؤال الرابع : حصل لنا إشكال في قول الشيخ الأكبر قدس سره ونصه : وكان بعضهم يقول في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، المراد أنهم لم يكن في حسابهم أن ا تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه، وليس المراد أن الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم، قال الشيخ الشعراني رضي ا عنه فليتأمل. وحيث ساق الشيخ رضي ا عنه كلام ذلك البعض ففيه استنشاق رائحة قبوله، وإن قال الشيخ الشعراني رضي ا عنه فليتأمل، إذ العارفون لا ينطقون إلا بالحق، ولا ينقلون في كتبهم إلا القول الحق، وإن قلنا بأحقية القول من ذلك البعض فالسؤال على كل حال والحساب لا بد منه، وظاهر الأحاديث وشراحها وكذا قول سيدنا رضي ا عنه يشير إلى عدم حساب وسؤال أصحابه، وكذا الزمرة التي تدخل الجنة قبل الحساب، فأوضح للناس ذلك زادك ا نورا على نور، لأن له تعلقا بكلام سيدنا رضي ا عنه، وسقناه في مذاكرة الإخوان فحصلت لنا من ذلك وقفة وإشكال.

الجواب : اعلم أن حسن ظنك هو الذي حملك على استنشاق رائحة قبول كلام العارفين فيما يقولونه وما ينقلونه وإنهم لا يقولون إلا الحق، وقد ورد في الحديث : حبك الشيء يعمي ويصم، مع أن كل كلام فيه المقبول والمردود إلا كلام الرسول عليه السلام. ومن الإنصاف أن يعطي الشخص لكل ذي حق حقه، ولا يمنعه مما استحقه، لذلك جرت عادة العارف الشعراني

رضي ا   عنه فيما ينقله من كلام الشيخ الأكبر وغيره من شيوخه مثل العارف سيدي علي الخواص، مما يجده في الظاهر مخالفا للقواعد المقررة. وبالأخص ما يراه حائدا عما قرره أهل السنة وذهبوا فيه مذهب الحق، فإنه ينبه على ما ينقله من ذلك على التأمل فيه لأمور منها : أن لا يتمسك به من لا تحقيق له في مخالفة مذهب أهل الحق فيتأمل في المنقول ليفهمه على الوجه المقصود منه، ويقابل ما فهمه بما عند غير المنقول عنه، ومنها التثبت فيما يفهمه المطالع على ذلك. وأن لا يتسارع للإنكار إلا بعد تحصيل ذلك على أتم وجه، فإنه ربما لا يعرف المقصود من ذلك ويكون إنكاره غير محمود. ومنها الإرشاد إلى أن في الكلام المنقول شيئا يحتاج إلى التأمل، ليرد إليه المطالع باله وأن لا يمر عليه مر السحاب، في مطالعة ذلك القول مما لا يظهر له وجهه من خطأ وصواب، ومنها إعلامه بأنه على بصيرة من ذلك القول الذي نقله عن صاحبه، وأنه ما حكاه إلا لينبه عليه أو يقيد به غيره، ونحو هذا من التعقبات التي توقظ الوسنان من غفلته عند مطالعة ذلك.

وعلى كل حال ما نبه على ذلك إلا لأمر مهم تدرك وجهه بالتأمل، ولربما ذكر ما ظهر له فيه حتى لا يدع ما نقله في ناحية الإبهام والإيهام، والتشويش على الأفهام. أما تسليم الشيخ الأكبر لما نقله مما يشم منه رائحة قبوله فإنه لا يقضي بأنه غير متعقب عند غيره، لا سيما وذلك التوجيه مخالف لظاهر نص الحديث المذكور في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فإن الذهن لا ينصرف في فهم معنى الحساب إلا للحساب المعروف. فهي بشارة للمومنين الذين لا يحاسبون ولو حسابا يسيرا، لورود كثير من الأحاديث فيمن يدخلون الجنة بدونه، ولا معنى لتأويل ذلك بتحويل اللفظ إلى معنى لا دلالة عليه ولا موجب له، وكأنه ما ذكره الشيخ الأكبر إلا تنبيها للمكلف حتى لا يركن إلى الأمن من مكر ا . وأن ما ورد في الدخول للجنة بلا حساب قد يكون المراد من الحساب ما ذكره ذلك العارف. وإن كان مخالفا للمعنى المقصود من الحساب في لسان التخاطب. والحق يقول في بعض الأحاديث القدسية في هذا الموضوع : هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي.

وما قلناه من كلام الشيخ الأكبر قد يكون أراد بنقل ذلك القول تحذير الناس من الأمن من المكر، فهو الذي جرى عليه أهل ا   في مبشراتهم لمريديهم وأحبابهم، مثل الشيخ التجاني رضي ا   عنه، فإنه يحذر من الركون للأمن من مكر ا   حيث يقول : إن أصحاب طريقته لهم كذا وكذا من الفضل العظيم، حتى أنه بشره النبي (ﷺ) بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، ثم يقول محذرا لهم : فلا تامنوا مكر ا   ونحو هذه العبارة مما لا يبقى معها للمريد ركون للأمن من المكر. "ولا يأمن مكر ا   إلا القوم الخاسرون"(37). وقد يكون ذكر ذلك البعض في ذلك الحديث مقصودا في حق بعض الناس الداخلين في مجموع ذلك العدد، وهم بالنسبة لمن يدخلون الجنة بالحساب كلا

(37) سورة الأعراف، الآية 99.

شيء في جانب فضل ا ، فإن الرجاء في ا أن يدخل الجنة بلا حساب ما لا حصر له من الملايين، وا ذو الفضل العظيم(38).

إلا أن جزم ذلك العارف بكون المراد ما ذكره يحتاج فيه إلى ما يعاضده ليخرج من عهدة تحويل اللفظ عن مدلوله المطابق له في الوضع العربي، لا سيما وجزمه بذلك يؤيده قوله وليس المراد أن الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم، وهو مخالف فيه لما دل عليه اللفظ، ولا قرينة تدل على صحة مقاله، ولهذا قال العارف الشعراني رحمه ا فليتأمل، فهذا ما ظهر لنا وا أعلم.

السؤال الخامس : عن أعظم الأعمال ثوابا هل الشاق على النفس الذي يؤذيه الإنسان بكزازة ومشقة أو الذي يؤذيه بنشاط وفرح وخفة، لأن كلام العارفين تعارض لدينا، فقد رأيت أن بعض العارفين قال : كنت أؤدي الأفعال التكليفية بكل نشاط مدة. فظهر لي أن تأديتها مع المشقة أعظم أجرا، فطلبت من المولى رفع تلك الخفة عند أداءها، فصرت أؤدي التكاليف بمشقة وكزازة. وقد قال بعضهم : السعداء يأخذون الأعمال بالإرادة والقصد، ويأخذون النتائج بالشهوة في حال العمل، فالتذوا بالعمل التذاذا بنتيجته، فقد عجل له نعيمه، ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة، ولكنها مرتبة دون الأولى، وقال الشعراني : الكامل تصير عبادته روحانية لا جسمانية. وقال الشيخ الأكبر قدس سره : إذا وقعت للنفس لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهناك علة خفية. إلى أن قال : فالعدول إلى الشاق واجب، فأوضح لنا سيدي شرح هذا الإضطراب الحاصل لنا من كلامهم، هل ذلك الإضطراب حاصل من تفاوت المقامات فصار كل واحد يعبر عن حاله أو لأمر واحد ؟ وحينئذ أوضح لنا ما هو الأعظم ثوابا هل تأذيتها بلذة أو مع مشقة ؟ لأن الثواب على قدر النصب والتكليف والتزام ما فيه كلفة. ولا ينفك أحد عن التكليف مادام في الحياة سواء الصفوة العليا والعامة.

الجواب : أعلم أن الحق سبحانه قد تكرم على أمة سيدنا محمد (ﷺ) بنفي الحرج عنها حيث يقول : وما جعل عليكم في الدين من حرج(39)، وفي الحديث لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، والنبي (ﷺ)

لم يمتحنا بما تعيا العقول به ‏ ‏ ‏ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

فلا جرم أن دين ا يسر، وأركان الدين معروفة من قام بها مع اجتناب ما نهي عنه عد مطيعا. وهذا شيء معروف ليس السؤال عنه، وإنما السؤال عن الأعظم ثوابا هل الشاق على النفس أو غير الشاق، وقد عرفت معنى التكليف الذي هو إلزام ما فيه كلفة، فتبين به أن الأمر

---

(38) كان الشيخ التجاني رضي ا تعالى عنه غالبا ما يوصي أصحابه بتقوى ا وعدم الأمن من مكره، وكثيرا ما كان يحث على هذا عقب ذكره لبعض البشارات التي تفضل ا به على أصحابه وأحبابه، وفي كتاب الإفادة الأحمدية لمؤلفه البركة سيدي الطيب السفياني، باب حرف الكاف، قال : قال سيدنا رضي ا عنه : كل ما ذكرت لكم في هذا الطريق واقع إن سلمنا من مكر ا ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ما أمنوا مكر ا ، فلا يا من مكر ا إلا القوم الخاسرون.

(39) سورة الحج، الآية 78.

الشاق على النفس فيه ثواب لمن قام بما أمر به، غير أنه لا بد من مراعاة حق ا وحق النفس. وما كلف ا نفسا فوق طاقتها، كما قال تعالى : لا يكلف ا نفسا إلا وسعها(40)، ومفهومه أن ما لا يسع النفس لم يكلفها به، والثواب إنما هو منوط بما كلفها به لتؤدي الأمانة فيه على وجهها. ثم نرجع إلى تصويب نظريتكم من كون العارفين هنا يعبر كل واحد منهم على حسب مقامه وذوقه، وهم في مذاقهم على أحوال. وصاحب الحال مسلم له فيما قال، ولا يقتدى به في سائر الأفعال، ولا في سائر الأقوال، فمنهم من لا يلتذ بالجلال وإنما يلتذ بالجمال، وهؤلاء أهل شكر، ومنهم من يلتذ بالعكس، وهم أهل الصبر، فأهل الشكر ميسر لهم المزيد، وأهل الصبر يوفون أجرهم بغير حساب، وما أظن أنه يوجد من أهل ا من يتحمل المشقة في طاعة ا بلا لذة له فيها، وكيف يتأتى للعارف أن يعملها أو يجتنب شيئا من غير لذة في امتثال أمر مولاه، واجتناب ما عنه نهاه، بل تجد العارف منهم إذا لم يلتذ بشيء من النصب يتمنى أن يمتحن ليجد لذة المحنة، كما قال أبو يزيد البسطامي(41) رضي ا عنه :

وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجد بالعذاب

فتمنى العذاب ليذوق لذته، ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وقد عرفت أن أصحاب الأحوال في واد وغيرهم في واد. وكل يعمل على شاكلته، ومن ألقى نظرة إجمالية إلى أحوال الصحابة رضوان ا عليهم وتحقق بأنهم خير من قاموا بطاعة ا على الوجه المشروع لم يجد منهم واحدا ألزم نفسه غير ما ألزمها الشرع به، ولم يحرموا أنفسهم من الإستكثار من نوافل الخير عن طيب نفس والتذاذ تام بها، ولم يسلك واحد منهم طريقة التشديد على النفس من غير الوجه المشروع، وقد اقتدوا بالنبي (ﷺ) في تلك الأعمال التي شكروا ا بها وصبروا فيها صبرا جميلا.

وقد تقدمت لنا الإشارة إلى مشرب أهل الشكر ومشرب أهل الصبر، وقد يكون الصبر شكرا والشكر صبرا. واللذة ملازمة للعارف في ذلك كله، يدل عليه قوله (ﷺ) لما قيل له وقد وقف في مصلاه حتى تورمت قدماه : أتتكلف هذا وقد غفر ا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال : أفلا أكون عبدا شكورا، وهو في مقام التلذذ بعبادة ربه في حال لم يجده إلا ورثته، والدليل أيضا على كون العمل بالشهوة له أجر قول النبي (ﷺ) لما قال له الصحابة ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضل أموالهم، فبين لهم جملة من طرق الأجور منها : وفي بضع أحدكم أجر، فقالوا : يا رسول ا أو يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ فقال : أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له

(40) سورة البقرة، الآية 286.

(41) طيفور بن عيسى، المشهور بأبي يزيد البسطامي، نسبة إلى بسطام، بلدة بين خرسان والعراق، ولد بها عام 188هـ، وبها توفي عام 261هـ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية، وكان الشيخ ابن عربي الحاتمي ينوه به كثيرا ويسميه أبا يزيد الأكبر، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 76 رقم الترجمة 148، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 10 ص 33، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 1 ص 481، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 67-74، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 240، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 335.

فيها أجر.

وفي هذا الحديث من طريق التصريح نجد أن الأجر ثابت لمن وضع شهوته في الحلال، ومن طريق التلويح نجد الأجر ثابتا لمن حبس نفسه عن شهوته في الحرام، لأنه يأثم في شهوة الحرام، وفي كفه عنها في الحرام أجر. مثل الرجل الذي قالت له ابنة عمه : اتق ا ولا تفك الخاتم إلا بحقه، فقام من بين شعبيها رغما على نفسه، فترك شهوته من خشية ا ، فهو يثاب على تحمل هذه المشقة بإرغام نفسه، أما أصحاب المجاهدات فهم من قبيل أصحاب الأحوال، وإني لأرى أن أعمال السادات الصوفية التي يتكلفونها زيادة على القيام بما أمرهم ا به واجتناب ما نهاهم عنه قد صدرت منهم عن حال قوي أو ضعيف، حسب الظروف الزمانية والمكانية، ومنهم من يظلم نفسه بتكليفها ما لاتطيق، ولولا أنها تجد في عاقبتها الجزاء الأوفى لطلبت الإنصاف من مكلفها بما فيه مشقة عليها، ولا يخفى أن تحمل المشاق في العبادة على وجوه، منها ما يكون الأجر فيه على قدرها أو أعظم، كمن يشق عليه القيام لصلاة الصبح في وقته فيتحمل مشقة القيام، فإنه يثاب على تحمله لهذه المشقة، وقد يقوم غيره لهذه الصلاة بنشاط، فلاشك أنه يثاب على نشاطه لأداء أمر ربه عن طيب نفس. وأظن أن هذا أعظم ثوابا ممن تحمل المشقة للقيام في هذا الوقت، لأنه شتان ما بين المطيع لأداء الأمر عن طيب نفس وبين من يثقل عليه أداؤه له عن كزازة، وا يقول : وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين(42)، فأثنى على من قام بها من غير استثقال لها، وهو دليل على أن الخاشعين يستلذون بالطاعة، وقد يصح أن يكون دليل أفضلية العمل الثقيل على النفس قوله تعالى : وأن تصوموا خير لكم(43) فقد رخص في الفطر في السفر، وهو ما تشتهيه النفس ويثقل عليها الصوم.

وفي هذه الحالة التي هي الصوم قال : خير لكم، وبعضهم يرى هذه الأفضلية في حق القوي الذي لا يتضرر بالصوم، أما الضعيف فلا خير له في الصوم في السفر، ولذلك قال (ﷺ) على لغة حمير : ليس من امبر امصيام في امسفر، يعني ليس من البر الصيام في السفر. بل يحرم في بعض الأحوال تحمل المشاق في العبادة، ولذلك تبرأ رسول ا (ﷺ) من التكلف فقال : أنا وأمتي برءاء من التكلف، وقال ا على لسانه عليه السلام : وما أنا من المتكلفين(44)، ولاشك أن التكلف في معنى تحمل المشقة في الشيء عبادة وغير عبادة، وقد ينفرد الشخص بالتكلف في خاصة نفسه فتكون في حقه أفضل منها في حق غيره، كما خص النبي (ﷺ) بالتهجد والضحى ونحو ذلك من الخصائص، وله في ذلك لذة كبيرة في الصلاة وغيرها، وأفعاله (ﷺ) كلها عبادة بلذة فاق فيها غيره بمقتضى : وجعلت قرة عيني في الصلاة، لما فيها من لذة المناجاة وأمور أخرى لا علم لنا بها، وحبب إليه مما هو من الشهوة الطيب والنساء، وتلك المحبة عبادة في حقه وتشريع لنا لنحب ذلك بمحبته، وتكون شهوتنا ممزوجة بالطاعة والعبادة اقتداء به.

---

(42) سورة البقرة، الآية 45.
(43) سورة البقرة، الآية 184.
(44) سورة ص، الآية 86.

وأما ما نقلته عن بعض العارفين الذي دعا الله تعالى وطلب منه أن يرفع عنه الخفة التي كان يجدها في أداء الأفعال التكليفية فاستجاب دعائه وصار يؤديها بمشقة وكزازة. فلا يدل على أن ذلك التعب الحاصل له ثانيا أعظم ثوابا من العمل بالخفة التي كان يجدها. وإنما يحمل فيها على أنه صاحب حال، مع أن صاحب الحال لا يخلو من التلذذ بمقتضى هواه. فإن هذا البعض ما تشوف للعمل بمشقة إلا عن تلذذ آخر، ليذوق ذلك عن وجد مثل أبي يزيد فيما تشوف له من حصوله على مطلبه من التلذذ بالعذاب في البيت الذي ذكرناه عنه.

وأما قول البعض الآخر من كون السعداء يأخذون النتائج بالشهوة في الأعمال التي التذوا بها وقد عجل لهم نعيمهم، فهو قول وارد عن غير معصوم من الخطأ في النظر، ولا يبعد أن يكون الملتذ بالطاعة الذي جعل هذا البعض التذاذه بها نعيما معجلا له قد ادخر له عند الله الثواب الأعظم على عبادته وعلى التذاذه بها بخلاف غير الملتذ. ألا ترى إلى من كان جائعا وحضر العشاء والعشاء، كيف يثقل عليه ترك العشاء وقد رخص له الشارع في تقديم العشاء الذي هو الأكل على العشاء التي هي الصلاة الفريضة حتى لا يقوم بطاعة عن ثقل نفس. وكذلك من غلبه النوم على القيام بواجب الصلاة كيف أمر بتركها وينام، ولم يكلفه الشارع بتحمل ثقل القيام لها، فدل هذا على أن العمل عن خفة أفضل من العمل عن ثقل نفس.

وأما قول العارف الشعراني : الكامل تصير عبادته روحانية فهو مما يدل على أن العمل عن خفة نفس أفضل مما ثقل عليها، لأن العمل الروحي خفيف ولو كان من أثقل الأحمال، وما ذكره الشيخ الأكبر من كون العبادة بلذة لا تخلو من علة فلا يدل أيضا على الأفضلية، وإنما نبه على أن ذلك يكون عن لذة، واللذة تكون عن علة من إتقان العبادة رياء وسمعة، ففيه ما للعامل بمقتضى ذلك لذة، وهذه اللذة غير مقصودة لنا في هذا المقام. وإنما المقصود النشاط بالعبادة لا عن حظ نفساني، وإنما دخلت به في طور آخر ربما تحرم القيام بتلك العبادة فيه، حتى قيل بعدم إجزاء إخراج الزكاة برياء. ويتعين النيابة في توزيعها من أجل ذلك، وهو القول المشهور، وهو مأمور هنا بمخالفة نفسه في إخراجها طبق هواها، وقد بنى السادة الصوفية طريق السلوك في نجاح سعي المريد على مخالفة النفس، لأن النفس لا تأمر إلا بسوء بمقتضى : إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي(45). ولذلك يقول المادح البوصيري(46) في بردته رحمه الله :

وخالف النفس والشيطان واعصهما	وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما	فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

(45) سورة يوسف، الآية 53.

(46) أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري، ناظم بردة المديح والهمزية، أصله من بلاد المغرب، هاجر والده إلى مصر واستوطنها، ولهذا غلبت عليه نسبته لبوصير، وهي من أعمال بني يوسف بمصر، وكانت وفاته رحمه الله عام 696هـ، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 7 ص 70، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 205، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 139، وفي الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 105-113.

فما ثقل على النفس في الأمور أفضل غالبا من الخفيف عليها، لأن الصلاح في الثقيل عليها غالبا، وقد بسط القول في هذا الموضوع شراحها هنا، ومع ذلك فلا يدل ذلك على الأفضلية في الثواب، والحاصل أن الإضطراب الحاصل من كلام العارفين في هذا الموضوع هو طبق ما قلت من تفاوتهم في المقامات، فصار كل واحد يعبر عن حاله، ونحن نطلب المولى أن يرزقنا حلاوة كبرى لنكثر من الطاعات عن طيب نفس ولذة كاملة، فإن النفس من عاداتها أن يثقل عليها أداء جميع المأمورات، وتجد لها خفة عند الأمور المنهيات. ولربما وهو من غالب أحوالها لتمسكها بحبل الغرور أن يحصل لها نشاط بالاشتغال بأعمال القربات من نوافل خير محدثة وأذكار غريبة، مع استثقالها لأداء الفرائض على الوجه المطلوب، وتستلذ ضياع الوقت في اللهو وإتقان ما ليس بلازم، وتتكاسل عما هي مطالبة بإتقانه وهو سر في مذاقها.

ومثال ذلك في المخذولين من المريدين أن يثقل عليه إتقان صلاته، وهو مشغول البال حالتها باستعجاله لطرح حمل أدائها عنه ليتفرغ لورده الذي التزمه بنفسه أو بإذن من شيخه له فيه، وكأن ذلك الورد أهم لديه من الغرض المطالب به، ثم إنه حالة أداء هذا الورد تجده مشغول الفكر عنه بالتشوف لأذكار آخر أو عمل نفل زائد عما هو مطالب به، فهو يستثقل الفرض، ثم يستثقل النذر ليتضرع بما هو غير مأمور به، ليعمله بلذة ونشاط، شأن كل بطال لم يصاحب أحدا من أهل ا ليطلعه على عيوب نفسه، ليحاسبها على ما يصدر منها، ولقد سنح لي يوما أن أتفكر سويعة فيما جرى مني فيه بعد ما ظننت أنني لم يصدر مني ما ألومها عليه، فلما حاسبتها باستقصاء بعض الأمور التي أوقفتها عليه في تلك السويعة من ذلك اليوم كدت أن أغيب عن حسي بما تحققته من اغترار نفسي، وقد كتبت ذلك في كراسة صغيرة سميتها تفكر ساعة، وقد دخلت بين أوراقي، ولو عثرت عليها أوجهها إليك، وا يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لصالح القول والعمل.

السؤال السادس عن ذكر صلاة الفاتح لما أغلق بنية المراتب الثلاث، هل ذلك الثواب الموعود به على كل مرتبة حاصل لمن له الإذن في ذلك من أربابه بالنسبة لتلك المرتبة فقط لا الصورة كما يعطيه الكلام المنقول في رفع النقاب، المعزو لسيدنا رضي ا عنه وأرضاه وعنا به آمين، ونصه : إن الصورة والعين لا تدرك بخلاف الثواب، وهل سيدي لنا إذن في المراتب الثلاث من حضرتكم السعيدة، فإني سيدي منتظر إذنكم فيها بفارغ صبر، مع تبيين ذلك كمية وكيفية وتوجها وقصدا إلى آخر كلامكم باستعطاف مع طلب إلزامنا أن نعجل بالجواب عما سألتموه، وا يحقق ظننا وظنكم.

الجواب : لقد رأينا من أحوال كثير من أحبابنا الصادقين ممن أجزناهم وأذناهم يتهمون أنفسهم فيما حصل لهم من الإجازة والإذن فيه، فيتكرر منهم الطلب بإلحاح حتى كأنه ما عندهم إذن ولا إجازة فيما لديهم، وذلك صادر منهم لزيادة التثبت أو خشية انقطاع حبل السير المتصل فيه، فيريدون التجديد ولو على سبيل التبرك، أو عدم اكتفاءهم بالإذن الأول، أو لشيء آخر مما يدل على تشككهم، أو زيادة رابطة سرية قوية، مع أن الأول كاف لهم عند شيخنا التجاني رضي ا عنه، وذلك مثل الخاطر الأول الذي ينبغي للمريد اغتنام الفرصة فيه.

وقد كان شيخنا العارف با سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي ا عنه لا يحب طلب التجديد منه فيما أذن فيه أولا، ولا يحب التجديد في الإذن الصادر منه لغيره، ويقول الإذن الأول من ذلك المجيز لك فيه كفاية. ولربما يجدد لذلك الطالب الإذن لأمر يتحقق به في سره، وأعتقد أن ذلك للكشف عن صدق نية ذلك الطالب للتبرك بإذنه، ليتصل حبله بحبله، أو يتحقق من جهة الكشف أن ذلك الطالب لا إذن له في ذلك الذكر الذي طلب فيه إذنه، أولا إذن لمن أذن له فيه، ونحو هذه الأمور مما لا يتسارع للتجديد له فيه إلا بعد التحقق منه لموجب طلب التجديد، لأنه لا ينبغي التجديد للمتهاون إلا بعد تـأكد الطلب، وأخذ العهد ثانيا أن لا يعود لنقضه، خصوصا في الورد اللازم في الطريق، حيث أن تجديد الإذن فيه للمتهاون به يحتاج لتأديبه وزجره حتى يتحقق بصدق طلبه وعدم العودة إلى نقضه للعهد فيه، كما هو معروف عند خواص المقدمين، وكاد أن يتناساه المتأخرون منهم.

وقضية امتحان الشيخ رضي ا عنه لصاحبه الذي جاءه لطلب التجديد منه مذكورة في كتب الطريقة فلا نطيل بذكرها(47)، وإنما ذكرنا هذا هنا توطئة لتنبيهكم على أن الإذن الذي صدر منا لكم أولا فيه كفاية، فقد شافهناكم به وتفرسنا فيكم الأهلية وصدق النية، فلكم العمل عليه في كل ما وقفتم عليه في مؤلفاتنا في الطريقة التجانية وما ألفناه في غيرها، وإنني أحرص الناس على نفع الإخوان بما عندنا عن إذن صحيح و الحمد، ولا نبخل بما نراه صالحا ومصلحا لأحوالهم، وأستنكف من منع طالب الخير في الدلالة عليه، وبالأخص في الأعمال الخيرية النافعة في الآخرة، وا يتولى هداية الجميع بجاه النبي الشفيع (ﷺ).

ثم لا شك أن ثواب هذه الصلاة العظيمة القدر لا يدرك إلا بإذن، وقد أخبر الشيخ رضي ا عنه فيما بلغنا أنه ليس لأحد أن يأذن فيها إلا عن إذن منه بلا واسطة، أو بواسطة من عنده الإذن الصحيح منه فيها له. ولقد أمر رضي ا عنه أصحابه الذين لهم الإذن منه أن يلقنوها الناس ليموتوا على الإيمان، وقد تحقق لدى العارفين بالأسرار أن السر لا يظفر به إلا أهله، وهم من انشرحت صدورهم لقبول ذلك السر. فلابد من القابلية من الشخص، وإقباله على الشيء ذي الخاصية وقبوله لها، وكثير من الناس ممن يذكرون الشيء ذا الخاصية وهم ليسوا من أهلها، لأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون.

فمرتبة الصلاة المذكورة الظاهرة لكل من ظفر بها حاصل بالإذن وبلا إذن، لأن صاحبها(48) أخبر عن نفسه بأن من ذكرها مرة ودخل النار فليقبضه بين يدي ا . وذكر من

---

(47) أنظر بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 307 وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 525 وفي رفع العتاب عمن ترك الزيارة من الأصحاب للعلامة سيدي محمد فتحا كنون ص 28 .

(48) إشارة للعارف با القطب الشهير سيدي محمد البكري الصديقي، وهي ليست من تأليفه، بل توجه إلى ا تعالى وسأله أن يمنحه صلاة فيها سر جميع الصلوات، وطال طلبه مدة، ثم أجاب ا دعوته، فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور، أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم ص 137.

فضلها أن المرة الواحدة منها بستمائة ألف من غيرها. وقد بين الشيخ رضي ا عنه من هذه المرتبة ما لم يبينه غيره(49)، وهو يحصل بحسب نية الذاكر، وقد لا يكون لذاكرها نية في تحصيل شيء من فضلها، فلا يكون صاحب خاصية، لأن الخاصية لا تدرك إلا بنية صادقة مصدقة، وإلا كان العمل كعمل مطلق الناس في نيل مطلق الثواب.

فمن لم يصدق صاحبها فيما أخبر به من فضلها أو لم يبلغه ذلك الفضل فما له إلا الثواب العام للمصلي بغير صيغتها، لأنه لم يعرف مرتبتها ولا هو صاحب مرتبة، وإنما المدار في الفضل المخصوص للمرتبة وصاحبها(50).

أما المرتبة الباطنة وباطنة الباطنة فلا بد من الإذن في كل واحدة منهما، ومعرفة الفضل المنوط بها، لأنه بعلم الفضل تحصل المرتبة الفضيلة، وبهذا تميزت فضيلة العالم في العبادة على عبادة الجاهل إلى أن يصير صاحب مرتبة، وعبادة صاحب المرتبة من أصغر ولي إلى أكبر نبي بحسبه، فليس الذكر بلساني مثلا مثل ذكري بنية ذكر لسان الشيخ رضي ا عنه، ولا مثل ذكري بنية ذكر لسان النبي (ﷺ)، وفضل كل مرتبة ليس بمتساو في النية ولا القدر المترتب عليها، فالمرتبة الظاهرة شيء، والباطنة شيء، ومن له الإذن في ذلك حصل له فضل المرتبة التي ذكرها بنيتها، لأن الأعمال بالنيات، غير أن ذكرها بنية مرتبتها الأولى له فضلها الخاص بها على قدر ماله من العلم به من ستمائة ألف إلى آخر ما عرفه من التضعيف المنوط بالفضل على حسب مبلغه من العلم.

وذاكرها بنية المرتبة الثانية التي هي الباطنية يحصل له الفضل بها كذلك مع فضلها في المرتبة الظاهرة، كما يحصل فضلها في هذين المرتبتين لذاكرها بنية مرتبتها الثالثة، زيادة على فضل هذه المرتبة بالنية المنوطة بها بقدر ما لها من الفضل الذي لا يكاد يسعه عقل المصدق من خاصة أصحاب اليقين، فضلا عن غيرهم إلا بتوفيق من الحق.

ولقد أشار الخليفة المكرم سيدي الحاج علي حرازم برادة في كتابه جواهر المعاني إلى المراتب الثلاث مع فائدة منوطة ببيان كيفية تضعيف فضل هذه الصلاة الشريفة أملاها عليه الشيخ رضي ا عنه. إلا أن فيها بعض البتر في الأصل، ويحتاج من يريد الوقوف على صحة العدد الحاصل لذاكرها إلى تأمل وتثبت، مع سعة الصدر ليتحقق بالكمية الغير النهائية فيها، مع كيفية استخراج تلك الأعداد المنوطة بمراتبها(51).

---

(49) أنظر جواهر المعاني للعارف با سيدي الحاج علي حرازم برادة ص 135-149.

(50) حول هذا الموضوع قال العلامة الشهير ابن بابا العلوي الشنجيطي في نظمه المسمى بمنية المريد :

وفضلها يحصل مع شرطين	من ذاك إذن الشيخ دون ميـــــن
ثم اعتقاد أنها قد بـــرزت	من حضرة الغيب لمن له ســـــرت
ومرة من الجحيم فـــديـه	يوم القيامــة بـغـيـر مـريــــه
وما على النبي صلى أحــد	بمثلهــا سـمـع ذا ذا الأوحـــــد

(51) أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ص 135-149.

أما التوجه بها فقد وقفت على طرق فيه منسوبة للشيخ رضي ا عنه، وليست عندي رواية صحيحة في ذلك مما يخالف كتب الطريقة، والذي تحصل لي فيها أنها من الأمور المستعملة مما لا أصل له في الطريقة، ويتظاهر من لا تحقيق له أنها من الأسرار المكتومة. وقد ولع الناس بكل مستغرب، فيظن من يقف على شيء من ذلك أنه من هذا الباب السري. وقد بسطت القول في هذا ومثله في تأليفنا المعنون بجناية المنتسب بما نسبه للشيخ التجاني بالكذب(52). فلنقف هنا عند هذا الحد، ولكي نؤكد لك أن الخاصية العظمى في هذه الصلاة الشريفة لا بد في الإحراز عليها من الإذن الصحيح ممن له الإذن الصحيح فيها.

ولدينا و الحمد الإذن المقيد في الطريقة وأذكارها بأسرارها مع الإذن المطلق، وقد كنا أذناك على وفق ما رمته منا، ولم نبخل عليك بشيء من ذلك، ولم نستحضر إلى الآن معنى الصورة والعين المتعلقة بهذه الصلاة. مع أنه لا غرض يتعلق بغير الثواب الذي تفضل الحق به على ذاكرها، وا ذو الفضل العظيم، ثم لا ينبغي أن يتصدر لتلقين هذه الصلاة من لا إذن له في مرتبة من مراتبها. وليس له أيضا إذن في تلقينها بنية ذلك، وإلا فقد خاطر بنفسه في ادعاء ما لا إذن له فيه، فيكون من المحرومين. اللهم إلا إذا أرشد غيره لذكرها من غير دعوى إذن في تلقيها أو تلقينها، فإن الدال على الخير كفاعله. وصاحب الإذن في فضلها هو الشيخ قدس سره، أو من سرى له الإذن منه كما أشرنا له فيما تقدم. وا الموفق.

السؤال السابع : عن تراكيب الإسم الأعظم التي ذكرها سيدي في كتابه الروض المنيف(53)، المستخرجة من الآيات القرآنية على نظمها ونمطها. هل هذه التراكيب مراد سيدنا رضي ا عنه بقوله : منحني ا تبارك وتعالى ثلاث تراكيب من تراكيب الإسم الأعظم. واحدة من الغيب إلى آخر كلامه، أو تلك التراكيب غير هذه، كما أطلب من سيدي تبيين كيفية ذكر تلك التراكيب لمن عنده إذن فيها، وهل سيدي عندي إذن فيها ؟ فإني طلبت من سيدي الإذن فيها وكيفية ذكرها والتوجه بها إلى الحق المولى طلبا لمرضاته لا لغرض دنيوي ولا أخروي.

ما كنت أهلا وهم رأوني لذاك أهلا فصرت أهلا

الجواب : اعلم أيها الولي الحميم أن الإسم الأعظم مضروب بيننا وبينه حجاب، سيان الاسم الأعظم الذي إذا سئل به ا أعطى، وإذا دعي به أجاب، والإسم الأعظم المنوط بعظيم الثواب. ومتى أطلق الإسم الأعظم في لفظ العموم لا ينصرف إلا للأول، وقليل منهم من ينصرف منه فهمه للثاني، وإنه لا يمكن لغير المفتوح عليه الذي يقرأ سطور الكائنات في لوحها المحفوظ أن يطلع على المخصوص بالإجابة من هذين الاسمين، لأنه هو المأذون له في الدعاء في الأمر الذي

(52) أنظر ج 1 ص 98 من هذا المؤلف.

(53) الروض المنيف في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف، من تآليف العلامة سكيرج، تطرق فيه لموضوع الإسم الأعظم الكبير، فأظهر فيه علوما وأسرارا جليلة، بحيث يتبين لمتصفحه من أول وهلة ما كان يتمتع به مؤلفه من خبرة واسعة عريضة في هذا المجال، وقد أبان رحمه ا في هذا الكتاب عن مقدرة هائلة، مع تبسيط محكم قلما تجده في كتاب آخر، وساعدته على ذلك كثيرا معرفته الكبيرة بالإسم الأعظم وتنوع تراكيبه وصيغه.

لا يرد الدعاء فيه، ويستجاب فيه في الحين، فيدعو فيه بمقتضى الفتح المنوط به، وكل من يدعي التحصيل على هذا الإسم فلسان المشاهدة يكذبه، ولا يتظاهر أبدا صاحبه وإلا خوطب بلسان الحال إن لم يكن الخطاب بالمقال فيمن قيل في حقهم : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين في حضرات التحدي بالكرامة، ولا يكون التحدي إلا بالمعجزة في حق المعصوم، وأما الكرامة فلا يكون بها التحدي كما هو معلوم بين القوم عامة وخاصة، فينبغي لغير من يتحقق من نفسه الإستحقاق للحصول عليه أن لا يطلبه، لأنه يصير كطالب العثور على كنز بين القبور، ينبش عليها ليجد فيها مطلوبه، وما نصيبه من ذلك إلا الخيبة وسؤال الحال والمآل، لأن نيته فاسدة لتشوف نفسه لقضاء أغراض لا نفع له في الآخرة بها، حيث أنه لا يريد بالوقوف عليه التعبد به، وإنما يريده للتصرف في الخلق طبق ما يعترف بهذا في نفسه طالبه. وقليل من قليل من طلابه من يقصد به وجه ا .

وأما الإسم الأعظم المنوط بعظيم الثواب، وهو الذي تكلم عليه الشيخ التجاني رضي ا عنه، وهو محط بحث أصحابه وأحبابه، فقل من له الإذن فيه مع الوقوف على عينه بتعيين لفظه المتعبد به. وإن كان داخلا في الإجازات المصرح فيها بالإذن في الأسماء والمسميات، فالمجاز بهذا التعميم له حظ من ثواب هذا الإسم الأعظم الكريم وإن لم يطلع على تركيب صيغته الخاصة.

ولقد شاع وذاع وملأ الأسماع تركيب الأهمية ذي الحروف الإحدى عشر بين الإخوان وغيرهم(54)، وأنه هو هذا الإسم، ولم نجد أحدا يرفع سنده به إلى الشيخ التجاني رضي ا عنه، وإنما هي رواية بيان عن هيان. مجهول عن مجهول في مجهول، فالإشتغال بذكر صيغة الأهمية من البطالة وتضييع العمر في لا طائل، وما يدريك في هذه الألفاظ العجمية أنها كفر. كما قال الإمام مالك رضي ا عنه في نظائرها.

نعم إنه قد من ا على عبده بالوقوف على الثلاث صيغ من تراكيب هذا الإسم بخط الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي رحمه ا في رسالة وجهها للشيخ رضي ا عنه، ونقلتها عندي مباشرة من خطه، وهي عندي بلا شك الصيغ التي أشار لها في جواهر المعاني وغيره من كتب الطريقة. وما حظي في ذلك سوى الوجادة(55)، وهي من أقسام الإجازة.

وقد صرح الشيخ رضي ا عنه كما صرح غيره من أهل ا أن الحق سبحانه يكرم من شاء إكرامه باطلاعه على هذا الإسم الشريف بالوجادة، أو بتوفيق له من العارفين به من أهل ا ،

(54) تطرق العلامة سكيرج لموضوع تركيبة الحروف الأهمية في الكثير من كتبه، حيث بين جليا أن هذه الحروف ليست سوى مجرد رمز جامع لحروف الإسم الأعظم الكبير، ويحتوي هذا الرمز المبارك على أكثر من 40000 صيغة من صيغ الإسم الأعظم، ووسط هذا الكم الهائل من الصيغ هناك تركيبة واحدة هي الخاصة بمقام رسول ا (ﷺ)، وهي المعروفة عند خاصة العارفين بالفضل والثواب الكبير.

(55) الوجادة (بكسر الواو) اصطلح المحدثون على إطلاقه على أخذ العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة، وذلك إذا وجد الشخص حديثا بخط شيخ كان قد لقيه فألف خطه وعرفه ووثق به، أو لم يلقه ولكنه استيقن من أن هذا المخطوط صحيح النسبة إليه، فللشخص الذي تقع يده على شيء من هذا أن يرويه عن الشيخ على سبيل الحكاية.

أو بتلقيه في المنام كما وقع لكثير من أحبابنا الذين أكرمهم ا به لصدق نيتهم، ومنهم محل ولدنا البار الذي أجبناه بتويلفنا المعنون بالروض المنيف، ووقع لشيخه الحافظ المحفوظ با تلقيه في حضرة روحانية طبق ما حصل لتلميذه المذكور.

وقد كان شيخنا العارف با سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي ا عنه يقول لي : من لقنه الشيخ رضي ا عنه شيئا في المنام فهو مأذون فيه بالإذن الخاص، فله أن يعمل بمقتضاه، وليس بمستبعد العثور على هذا الإسم المنوط بالثواب، ولم يبق الكلام إلا في ذكره بإذن أو بلا إذن، فيكون القول الفصل فيه ما صرح به العارفون به خصوصا أهل الإختصاص بالإذن به من القطب الجامع ومن تلقاه منه، فقد قال شيخنا القطب التجاني رضي ا عنه : إن الفضل المذكور في الإسم الكبير خاص بالصيغة التي هي خاصة برسول ا (ﷺ)، ولا يلقنها ولا يأذن فيها إلا القطب الجامع، وأما غيرها من صيغ الإسم ففيها النصف من ثواب الكبير كما تقدم، وهذا الفضل لكل من أخذ صيغة من صيغ الإسم الأعظم بسند متصل. وأما من عثر عليه في كتاب أو غيره وذكره من غير إذن فثوابه حرف بعشر حسنات فقط لا غير(56).

فالمدار حينئذ في تلاوة هذا الإسم وتحصيل ثوابه الخاص على الإذن، وأما ذكره بغير إذن فبكل حرف عشر حسنات كما صرح بذلك سيدنا رضي ا عنه، فيكون عدد الحسنات في الصيغة الواحدة من الثلاث صيغ التي عثرنا عليها ثلاثمائة حسنة، لأن الصيغة فيها ثلاثون حرفا، مع حصول المزية الحاصلة لمن عرف حروفه من الأمن من السلب، كما نص على ذلك العارف با أبو المواهب سيدي العربي بن السائح رضي ا عنه في بغيته، وأنه لا يقدر على سلبه إلا القطب.

وقد عرفنا حروفه و الحمد من الجهة التي لا يتطرق إليها احتمال، والإحتمال من الشك، والشك فيه من السلب منه، ولا يمكن لنا الشك فيه بحال، وما أرى أحدا حصل له الإذن فيه مثل ما عندنا، ولا حصل عليه إلا من وجادتنا عن يقين تام، ومن ادعى أنه حصل له من غير وساطتنا فيكفيه حرمانه من رابطة سر الإذن بالوجادة، وعدم ظفره بنور الإستفادة، وما ذكرت لك هذا إلا تحدثا بالنعمة، و الحمد على ذلك(57).

وإذ فاتنا الإذن بالسند إلى سيدنا رضي ا عنه بتلقين هذا الإسم لتحصيل الفضل الخاص، فإنه لم يفتنا والحمد تحصيل الإذن في تلاوة الفاتحة بنيته، ولنا الإذن في تلاوتها بالنية دبر

---

(56) أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص 74.

(57) لا يشك في هذا القول إلا جاهل بمكانة العلامة سكيرج ودوره البارز في نشر وتدعيم الطريقة الأحمدية التجانية، مع اطلاعه الكبير على جل أسرارها وخباياها من أسماء وأدعية وأحزاب وأذكار، وقد ساعده على ذلك اجتماعه بجماعة من أعيان رجالات هذه الطريقة، وفي مقدمتهم العارف با سيدي أحمد العبدلاوي الذي يعد بمفرده خزانة شاملة محيطة بأمهات الأسرار الخاصة، وكان هذا من أهم الدوافع التي أهلت العلامة سكيرج للبحث والتدقيق والتحقيق في مجالات هذه الطريقة الشريفة.
ولا يختلف اثنان على أن معظم الأسرار الموجودة لدا الإخوان الفقراء اليوم قد تسربت إلى أيديهم عن طريقه رحمه ا ، من خلال تصانيفه الكثيرة، أو بواسطة رسائله وكنانيشه المخطوطة.

الصلاة 4 مرات من شيخنا العارف العبدلاوي المذكور، وقد أجزناكم بذلك طبق الإجازة الشفاهية المؤكدة لما كتبناه لكم مرارا، وقد تلقيتم منا كيفية ذكر الإسم المذكور وكيفية التلفظ به طبق ما علمناه، فلتقف عند حد ما لإخوتكم لقناه، وا يفتح علينا وعليكم فتح العارفين به، وله الحمد في الآخرة والأولى.

إن كنت أهلا لحمل سر   ياتيك حقا سرا وجهرا

أما مراد الشيخ رضي ا عنه بقوله منحني ا تبارك وتعالى ثلاث تراكيب من تراكيب الإسم الأعظم، فإنه لم يبلغنا تعيين مراده طبق ما أشرنا إليه، غير أنه لا يبعد أن تكون تلك التراكيب الثلاث هي المرادة لديه، لأنه يعتمد على ما يخبره به الواسطة المذكور، ونحن قد عثرنا عليها بفضل ا من الطريق التي صرحنا لكم بها.

وليس عندي في ذاك شك   فلتك ممن قد صر سرا

السؤال الثامن : عن تبيين كيفية ذكر اللطيف الكبير جماعة المذكورة في اليواقيت الأحمدية، وهل ذكرها بتلك الكيفية بعدد من الإخوان خاص لا يمكن التبديل في هؤلاء الأشخاص الذين أنشأ عنهم الذكر، وبنى عليهم أولا ؟ أو لا عبرة بالعدد ولا بتعيين الأشخاص كما رأينا بعض الأحباب الأحمديين يفعل ذلك ؟ وكذا اعلم سيدي أننا كنا نقرأ جماعة اللطيف بعدده الوسط 16641 جماعة بعد الوظيفة بنية الفرج عن المسلمين لا غير. جعلناه وقفا على ذلك هذه مدة، ونحن نذكره جماعة، لكن من حضر في الوظيفة يذكره معنا سواء قل العدد أو كثر من الحاضرين، فلما رأيت كلام سيدي في اليواقيت المصرح ببدعية اللطيف بعد الوظيفة تمادينا على ذكره بتلك الطريقة المذكورة حتى نستأذن سيدي هل نتمادى على ذكره بهذه الكيفية أو نقطعه ؟

الجواب : إن ذكر اللطيف على هذه الكيفية يحتاج فيه إلى لطيف، كما قيل استغفارنا يحتاج فيه إلى استغفار. وقبل أن نبين ما عليه أهل فن الأسماء في كيفية الذكر نذكر لك فائدة عظيمة استفدناها من الشيخ رضي ا عنه، فيما وقفنا عليه بخط يده الشريفة، في أن سر الإسم هو في عدده بالجمل وصيرورته ألوفا. فعدد إسم الودود مثلا عشرون، فيصير بقاعدته عنده 20000، كذلك عدد اسم اللطيف 129، فيذكره بعدد سره ألوفا فيكون عدده 129000، فدخل في هذا العدد العدد المنسوب لابن حجر(58) وهو 4444، وكذلك العدد الكبير والعدد الصغير المنوط بهذا الإسم

---

(58) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، فقيه، محدث، صوفي، باحث، ولد بمحلة أبي الهيتم بإقليم الغربية بمصر عام 909هـ، وتوفي بمكة المكرمة عام 974هـ، وله تصانيف كثيرة منها : مبلغ الأرب في فضائل العرب، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، والفتاوي الهيتمية، وتحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، والدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة، والمنهج القويم في مسائل التعليم، والخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، وغيرهم.
أنظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 166، وفي النور السافر لعبد القادر العيدروس ص 287، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 337-340 رقم الترجمة 137، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 420 رقم الترجمة 914، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 234.

والعدد الأوسط الذي ذكرته، ثم الأصل في كيفية الذكر أن يكون بلسان واحد في وقت واحد، عدد الأيام التي يذكر فيها الإسم المطلوب ذكره، ويليه ذكر جماعة خصوصية موزع عليهم عدد الإسم من غير أن يزيدوا أو ينقصوا إلى تمام العدد والمدة، كما كان يفعل الشيخ رضي ا عنه، فقد كان مرتبا لذكر عدد من بعض الأسماء بنيته عشرة من أصحابه(59)، لا يدخل معهم غيرهم، فيوزع عليهم العدد المنوط بذلك الإسم على السواء، ولا يذكر الواحد منهم أكثر مما يذكره الآخر، إلا ما كان كسرا فيستبد به بعضهم، ولعله الإمام الفاتح للذكر منهم، فإذا نقص حضور أحدهم يوزع جميع الذكر بعده عليهم في أول الشروع، لأنهم يكونون في تلك الحالة كالذاكر المنفرد، ولا يحضر معهم غيرهم، ولا يذكر أحد غير ما تشتغل به الجماعة من ذكر عدد ذلك الإسم. وبهذا تتحقق بأنه لا بد من مراعاة عدد الذكر والمحافظة على العدد من الزيادة أو النقص لا في الأشخاص ولا في العدد المذكور، فالعبرة بالأشخاص الذين ابتدؤا الذكر ووزع العدد عليهم أولا، فلا يضاف لهم غيرهم لا في الزيادة ولا في النقص منهم لعارض من العوارض، مع مراعاة الوقت من غير انقطاع إلى انقضاء المدة، وإلا كان ذلك مانعا لحصول خاصية الإسم المذكور، ولا عبرة بما فعله بعض الأحباب الذين أشرت إليهم فيما يخالف ما ذكرناه.

أما ذكر اللطيف بأي عدد كان عقب الوظيفة فهو بدعة، وبالأخص بلسان واحد جماعة، وقد حضرنا بالزاوية المباركة أيام أبي الفتح كنون وبعده، وكان إذا حصل أمر ذكروا اسم اللطيف عقب الوظيفة في اليوم المذكور جماعة، وربما طلب من الحاضرين أن يذكروه سرا، فكان يستنكف من ذلك شيخنا العارف العبدلاوي رضي ا عنه ويقول : هذا الأمر بدعة في الطريقة، وينكر على الإخوان الذين يعملون ذلك خوف الزيادة في الطريق مما لم يكن من عمل الشيخ رضي ا عنه، وإن كان ذكر اللطيف من أذكار الشيخ رضي ا عنه في طريقه الغير اللازمة. وإنما يذكره المريد وحده بنية اللطف به بعدده الخصوصي، والوقت المنوط به، أو جماعة خصوصية في غير الوقت المعد للذكر اللازم في الطريق كما قررناه وفصلناه(60).

وبه تعلم أن ما تفعلونه بنية الفرج من الذكر جماعة سواء قل العدد أو كثر من الحاضرين لم يكن عليه عمل الشيخ رضي ا عنه ولا خاصة أصحابه، وإنما هو من المبتدع في الطريقة، فالأولى ترك الذكر جماعة بالنية المذكورة، ولهم أن يوزعوا عددا من هذا الإسم على الحاضرين بالتساوي، ولا يدخل غيرهم معهم في ذكرهم، ولا يخرج إلى أن يقع ختمه خشية الزيادة أو النقص، مع التنبيه على أن هذا الذكر غير لازم في الطريقة، وا يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(59) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 460.

(60) ذكر العلامة سكيرج في كتابه جناية المنتسب العاني ج 2 ص 45 : وقد كان سيدنا رضي ا عنه ينوه بذكر اسم اللطيف لدفع الصدمات الجلالية، وتنفيس الكربات الفعالية والإنفعالية، وبذكره في عدد من الأعداد يجلى عن الذاكر ما يهمه من ذلك، ويتجلى المتوقع من ذلك في مظهر اللطف الخفي، بما أودع ا في ذكره في عدده السري من خواص، بين العوام والخواص، مما شوهد نفعه، وقد كان رضي ا عنه يؤكد صحة قول من قال : أبواب التصرف بالأسماء والتوجه بها في قضاء المطالب قد انسدت أبوابها ولم يبق إلا باب اسم اللطيف وباب الصلاة على النبي (ﷺ).

السؤال التاسع : عن ذكر اسم الجلالة المذكور عن الشيخ سيدي محمد أكنسوس رضي الله عنه في كتاب رفع النقاب، في حضه على ذكر الإسم المقدس على كل حال من غير شرط ولا عدد، وكذا بالكيفية المنسوبة للشيخ الشعراني رضي الله عنه من ذكره بعدد الأنفاس 16000 كل يوم لمن أراد أن يعدها عدا، أو يذكره 45 درجة، وكذا رأيت معزوا له رضي الله عنه يعني العارف الكنسوسي ذكر 66000 مرة في أربعين يوما، أو ذكر 33000 مرة في ستين يوما، بشرط الخلوة بشروطها، ومن لم يقدر على الخلوة فليذكر 4000 في كل يوم بلا خلوة ولا اعتزال، ومن لم يقدر فليذكر 66 مرة دبر كل صلاة، مقدما لذكره في كل الحالات الذكر القائم بحرف الألف الذي أوله : إلاهي أسألك بسيد الأسماء إلخ ... وبعده الذكر الذي ذكره العارف البوني وهو : اللهم إني أسألك بحق اسمك يا الله يا الله يا الله يا حي يا قيوم إلخ ... واعلم سيدي أني أذكر هذه الكيفية الأخيرة دبر كل فرض، أما الكيفيات الأخرى فأطلب من سيدي الإذن فيها إن رأى سيدي ذلك لائقا بي. وإلا فنظر سيدي وفراسته أولى من كل شيء، وسيدي طبيب وأنا مريض، والطبيب أدرى بما هو لائق بالمريض.

الجواب : اعلم أنه من عادتي أن أذكر نص سؤال من يسألني من الأحباب عن شيء من غير تصرف فيه لأتتبع ما اشتمل عليه، وأنبه على ما فيه مما أرى صوابا أو خطأ وإن اشتمل على الثناء علي فيما بما أستحقه في نظره وبما لا أستحقه في نظري، ويحصل لي نشاط لإجابته بما يتبين لي بذلك من صدق نيته في الإستفادة بالجواب المطلوب عن الضالة المنشودة منه، ولا أقف عند تنبيه السائل عن ما غفل عنه أو جهله من قواعد الفن التي لم يراعيها في سؤاله نصحا له فيما أعلم، ولا ألتفت إلى ما وراء ذلك مما لا يروق في نظره أو نظر غيره بمخالفة الغير في نظريته، فإن كل كلام من غير المعصوم فيه المقبول والمردود، وعلى كل حال فإن المراد ببيان المقصود. ولقد ألقيت علي هذا السؤال الذي نحن بصدد الجواب عنه بنظرة إجمالية، وألقيت فيه أمورا إما محرفة عن الأصل، أو قصدتم عقدها بما يحتاج فيه إلى حل، فلا نبخل بما لدينا في ذلك استجلابا لدعائكم، مع دعاء من يقف عليه ممن نرجو له نفعا تاما.

فلتعلم أن طريقتنا المحمدية التجانية طريقة جمال، وأذكارها كلها جمالية، إلا ما كان من الحزب السيفي وحزب البحر، فإن التجلي على ذاكرهما أو ذاكر واحد منهما بالملازمة يقضي بالجلال الذي لا يقدر المريد في طريقتنا على حمله، ولو قرأ ذلك لغير تحصيل خاصية من فضله، وقد تحقق الشيخ التجاني رضي الله عنه بما في ذلك مما يثقل تحمله في حق المريد الطالب من الفضل للمزيد فرفع الإذن فيهما على غير الخاصة، وذلك من هذه الحيثية وحيثيات أخرى.

فهذا الذكر وإن كان من الأذكار الغير اللازمة في الطريقة فالأولى أن لا يذكرهما المريد إلا بإذن خاص ممن له الإذن الخاص فيهما، مع مراعاة الأهلية حتى لا يحصل الضرر للمريد ولا لمقدمه، ومن الأذكار الجامعة للجلال والجمال بحسب قابلية المريد لتلقي النور المفاض عليه بقوة ذكر اسم الجلالة، فنوره يحرق النفس، ويكاد يخرج بها عن الحس، وهو من أذكار الشيخ التي

لم يأذن فيها لأصحابه فيما بلغنا، وإنما يذكره في حضرته من غير لزوم عدد، وليس عندي فيه إلى الشيخ سند، وما يذكره الإخوان في الوظيفة بعدد مخصوص في غير القيام لحضرة الذكر في عشية يوم الجمعة ليس من طريقتنا، وإنما هو من أدراج بعض الداخلين فيها ممن لا يراعون قواعد الطريق(61)، ومن الدخلاء فيها على التحقيق، فيعملون على ما اعتادوه في طرق غير هذه الطريقة، ولعدم معرفة العامة لكيفية عمارة حلقة الذكر وما نريد فيها تعين سرد الهيللة يوم الجمعة إلى غروب الشمس. أو يذكر كل مريد من الألف منها إلى اثنتي عشرة مائة، طبق ما هو مقرر من غير ذكر عدد مخصوص من هذا الإسم الشريف، فنحن لا نعرف ذكره مع الهيللة في عدد محصور من أذكار الطريقة، ولا ما يذكر من الهيللة في نحو الثلاثمائة أو خمسمائة منه ونحو ذلك، لا في جماعة الذاكرين ولا على الانفراد.

ولأن الذكر عندنا إما أن يكون جماعة فيكون ابتداؤه من قبل الغروب بنحو ساعة زمانية، ولا يحتاج فيه إلى عدد، ويكفي من حضره ما أدركه معهم ولو هيللة واحدة، إلا أنه يفوته من الخير بقدر ما فاته من الذكر من غير ذكر الجلالة، لأنها ليست من أذكار الطريقة في حق المريد فيما علمناه إلا عند القيام فيذكر إجلالا(62)، ولأجل ذلك حق القيام من غير حصر في عدد كما قررناه.

وليس هو من الأذكار التي تلقن للمريد في طريقتنا، وغالب نية الذاكرين له إما للسلوك وإما لإدراك خاصية، وطريقتنا غير مبنية على نية تحصيل الخاصية، ولا على السلوك فيها على ما جرى عليه مريدوا التربية في طرق الصوفية، بل طريقتنا طريقة شكر كما هو معروف بين أهلها.

ثم إن ما ذكرناه في كتابنا رفع النقاب عن العلامة الكنسوسي وذكرته هنا في صلب السؤال فقد جرى فيه على غير ما هو في طريقتنا(63)، ولا يمنع المريد من العمل به، لأن الأذكار لا يمنع منها أحد، لأن الشارع ما أذن فيها إلا لأجل خاصية، فلا بد من الإذن الخاص للخاص كما هو مقرر في كتب الخواص، فلا شك أن ذكر الجلالة على الكيفية المذكورة يحتاج فيها إلى إذن فيما ذكره الكنسوسي عن الشعراني رضي الله عنهما.

---

(61) كان العلامة سكيرج حريصا كل الحرص على نبذ المحدثات ومحاربتها طيلة حياته المباركة، وفي هذا الصدد ألف كتابه جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، فأظهر فيه العديد من البدع التي أحدثها بعض المقدمين في مجالات مختلفة من هذه الطريقة الشريفة، فدعا رحمه ا لإنكارها ومعارضتها وعدم العمل بها، وذلك لكونها أشياء دخيلة لا أساس لها يعتمد عليه، والمعتمد عندنا في هذه الطريقة دون منازع هو عمل الزاوية الكبرى بمدينة فاس.

(62) جاء في كناش العارف با سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي ما نصه : وسألته رضي ا عنه – يعني أبا المواهب سيدي محمد العربي بن السائح – عن الذين يذكرون الإسم المفرد ا ا ... بعد الهيللة في ذكر الجمعة، هل كان ذلك في زمن سيدنا الشيخ رضي ا عنه أم لا ؟ فأجاب رضي ا عنه بقوله : لم يكن ذلك في زمن الشيخ وإنما أحدثه بعض الأصحاب استحسانا في الطريق إهـ ... واعلم أن سيدي العربي رضي ا عنه كان لا يحب ذلك البتة، فإذا ذكر له ذلك اغتاظ غاية ويقول : تلك زيادة في الطريق، وهو تقدم بين يدي الشيخ رضي ا عنه، فلا أفعله ولا أوافق عليه أحدا إلخ ...

(63) أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج، ج 2 ص 131.

أما عدد الأنفاس الذي ذكرتم أنه 16000 فهو أكثر من ذلك، وهي تختلف باختلاف طبيعة المريد عند من يريد التحقيق فيه، لأن الشخص يتنفس في الدقيقة الواحدة من 15 إلى 18 مرة، وربما كان أكثر من ذلك، وقد ذكرها أيضا الشعراني وغيره في أكثر من العدد الذي ذكرتم، وبغير هذه القاعدة لا يمكن حصر عدد الأنفاس، وقد أضحكني قوله لمن أراد أن يعدها عدا، فهو على حد قول بعضهم : وسط الأرض هو المحل الذي أنا جالس فيه ومن كذبني فليعمر الأرض.

ثم إنه فرق عظيم بين من يذكر الإسم عدد الأنفاس الذي يستغرق من الوقت أكثر من أربع سوائع، وبين من يذكر في 45 درجة التي هي ساعة إلا ربع من غير حصر في عدد، وذلك بلا شك عندنا وعند غيرنا يقضي بأن خاصية الإسم في العدد الأول غير الخاصية المنوطة بالثاني، أما ما رأيتموه معزوا للعارف الكنسوسي من ذكره 66000 مرة مدة 40 يوما، فقد علمتم ما قلناه لكم من سر الأسماء عند شيخنا التجاني رضي الله عنه في اعتبار العدد الأبجدي ألوفا كما مشى عليه العارف الكنسوسي، والأربعون التي يذكر فيها هي ثلث أيام الخلوة كما هو مقرر عند العارفين بها، وأما 33000 مرة فهو نصف روح الإسم المذكور. فلابد من اعتبار تضعيف المدة التي هي 40 يوما إلى 80 يوما.

فما ذكرتم من المدة التي هي 60 يوما تصحيف بلا شك، وأما ذكره لمن لا يقدر على الخلوة أن يعمل 4000 مرة كل يوم فلابد من زيادة صفر رابع حفظا للمراتب.

نعم ذكره عدد 66 مرة لمن لم يقدر على العدد المذكور هو المعروف من قاعدة أعداد الأسماء، إلا أن ذكر القسم القائم من حرف الألف مع الذكر المنوط به المذكور عن البوني فنحن لا عمل به عندنا في طريقتنا، ولا في الأعداد قبله ذات الخاصية، فالأولى لك أن لا تذكر بالكيفية المتقدمة ولا المتأخرة، لأن ذلك كله لا يكون إلا عن غرض كما يقال في مثله :

صلى وصام لأمر كان يطلبه   لما قضى الأمر ما صلى ولا صام

نعم إذا تجردتم عن طلب قضاء الغرض وهو المظنون فيكم فلا بأس من ذكر الإسم الشريف دبر كل صلاة في العدد المذكور، وبلا عدد محصور، ولكن بعد ذكر المشروع من نحو الباقيات الصالحات، وقد غفل كثير من المولعين بالأذكار الغريبة دبر الصلوات عنها، مع أنها أحق بالإهتمام في الذكر، وفي هذا شفاء غليلك، وتكثير قليلك، وا يتولى هداية الجميع.

السؤال العاشر : ما سر قول العارف بالله سيدي أحمد بناني كلا(64) كما في رفع النقاب ونصه : وممن تلاقى به في مكة المشرفة صاحب الأذواق السليمة والفتوحات العظيمة الشيخ محمد السنوسي(65) ملقن الطريقة السنوسية، وهو أحد من أخذ عن سيدنا رضي الله عنه مشافهة كما سنتعرض لذلك في ترجمته بحول الله . واستفاد منه الفقيه المذكور علوما وأسرارا وشهد بفتحه. وبلغني عنه أنه قال في حقه : مثل الشيخ السنوسي لا تحجير عليه في الطريق، وكذا ما ذكره سيدي في كشف الحجاب في ترجمة العارف بالله سيدي عبد المالك الضرير(66) الشريف العلوي مما يشم منه مثل هذا، وهل هذا المسلك يسلك بما هو المعلوم من حالة الشيخ ماء العينين الشنقيطي(67) من كونه يلقن الطريقة الأحمدية مع الطريقة القادرية والناصرية وطرقا أخرى، أو هو خاص بهم سيدي لا يتعداهم ؟

اشرح لنا سيدي المقام شرحا شافيا، وحاشا سيدي معاذ الله أن يتسرب لذهني تسرب التفات عن جناب سيدنا قدس سره، أو افتيات على جناب ساداتي أهل الأذواق السليمة التي لا علم لي بها ولا شممت لها رائحة، وإنما أريد الحق والحقيقة، وأسأل الله بجاهكم فتح بصيرتي وبصري للمشاهدة والعيان، حتى لا يحصل لي تزحزح ولا تزلزل، آمين، بجاه النبي الأمين (ﷺ)، على أن سيدي قد أعطى المسألة حقها من البحث في مؤلفه : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان.

الجواب : اعلم أن مسألة انفراد المريد في هذه الطريقة المحمدية التجانية بها وانسلاخه عن سائر الطرق غيرها، واشتراط عدم جمعها مع طريقة أخرى في حقه وحق المقدم لتلقينها

(64) أبو العباس سيدي أحمد بناني كلا، فقيه، حافظ، صوفي، شيخ الجماعة بفاس في وقته، أخذ العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء، وعمدته فيهم العلامة سيدي عبد السلام بوغالب، وقال في حقه العلامة الحجوجي عند ذكر ترجمته من كتابه فتح الملك العلام : وكان كثير الذكر والتلاوة بالخشوع والبكاء، وورده من صلاة الفاتح لما أغلق بين اليوم والليلة عشرة آلاف، وكان يقوم طرفا من الليل، وحج مرتين وزار، ودخل مصر وحصل له هناك ظهور واشتهار، وأخذ الإذن في الورد التجاني عن العارف بالله سيدي محمد الغالي بوطالب الحسني، وأجازه في إعطاء الأوراد البركة الصالح سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر وغيره، وكان إماما راتبا بالزاوية الأحمدية مدة طويلة إهـ ... وكانت وفاته رحمه الله قرب شروق يوم الجمعة 8 جمادى الأولى سنة 1306هـ، عن سن يناهز التسعين، وصلي على جنازته بعد صلاة الجمعة بجامع القرويين، ودفن خارج باب الفتوح بفاس. أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 64، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 145، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 193، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 28، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 27، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 363 رقم الترجمة 807، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 430 رقم الترجمة 1695.

(65) الولي الصالح البركة سيدي محمد السنوسي الجغيوبي، أنظر ترجمته في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 186-188.

(66) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المؤلف.

(67) سبق التعريف به في ج 1 ص 28 من هذا المؤلف.

مسألة شغلت أفكار المريدين وغيرهم، ومن عرف مقاصد الشيوخ وما منحهم الحق من الشفقة على العامة في السلوك بهم على الطريق المفضي إلى الوصول للحق في أقرب وقت، وما لهم من الإعتناء بهم في جمع قلوبهم على ا تحققا بأن كل شيء يشترطونه على مريديهم هو من قبل الأخذ بأيديهم، وتمام النعم لهم، فلم يبق للمريد إلا الإستسلام من غير بحث في علة منع نحو ما ذكرناه حتى من زيادة غيرهم، ومن لم يعرف شيئا من ذلك لم يخرج من وحلة قيل وقال وكثرة السؤال، ولم تفد في ذلك إلا الصرامة القاطعة عن كل تشوف لغير ما أمر به الشيخ مريده، وإنما العمل في ذلك كله على ما أمره به أو نهاه عنه، ليفوز بمطلوبه على يديه منذ ساقه ا إليه. ولما كان الشيخ في طريقه كالطبيب للمريض الذي أتاه للأخذ بيديه، ومنحه مما لديه، لا ينبغي لهذا المريد أن يقول لهذا الشيخ : لم منحت هذا بهذا الشيء ومنعت هذا، ونحو ذلك مما كادت أن تنعكس القضية بينهما حتى تظن أن المريد هو الشيخ والشيخ مريد.

وهناك ينعدم النفع ولا يحصل لأحد منهما المراد، ومعلوم أن الشيخ في طريقته كالنبي في أمته، إن لم نقل مثل الرسول في قومه وملته، لأنه من نوابه في معاملة مريديه بما يوافق كل واحد منهم، فيقيد هذا بقيد، ويطلق هذا من قيود، ويحد لهذا حدا، وهذا يخرجه عن سائر الحدود، ونحو هذا مما لم تكن فائدة في استفهامه عن موجب ذلك إن كانت للمريد الثقة به فيما دله عليه لنيل مطلبه، لا في ابتداء أمره ولا في توسط سلوكه ولا في انتهائه، وإنما امتثال المريد هو المطلوب منه على كل حال من سائر أحواله في السر والعلانية. كما وقع ذلك في هذه الطريقة الأحمدية التجانية المحمدية. فقد كانت في ابتداء أمر ظهور الشيخ رضي ا عنه بها غير مشروط فيها ما آلت إليه بإذن من الحضرة المحمدية عليها السلام للشيخ رضي ا عنه بجميع تلك الشروط التي أمر بها الشيخ في تلقين أذكارها لطلابها من الحضرة المذكورة، فقيدها بالإنسلاخ عن غيرها، وبالإنفراد بها دون جمعها مع غيرها، وترك الزيارة للأولياء مطلقا أحياء وأمواتا، عن الإذن المنوط بها بشرطية تلك الشروط التي لا يكون المريد تجانيا باصطلاح الطريقة بدونها.

وقد انتقل الشيخ رضي ا عنه لدار البقاء وهو مؤكد لمراعاة شروط طريقه التي لازالت ولن تزال مشروطة في حق من يريد الإنخراط في سلك هذه الطريقة التجانية، بحيث لا يلقنها إلا من وقف مع شروطها، ولا يتلقاها المريد إلا عمن انفرد بها طبق ما دل عليه تنبيه الإخوان المشار له بأن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان، ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان، ممن قام بالإرشاد، والأخذ بأيدي العباد، والوصول إلى نيل المراد، من كل عارف خفي أمره، أو ظاهر سره، ممن تصدر في الطريق الأحمدي أو غيره، ولو انقاد له الناس وقادهم بحبل خيره، فإن هذه الطريقة طريقة جد، وقد تحقق المفتوح عليهم بما هو مشروط فيها من الحضرة التي لابد من مراعاة ما يصدر منها، فمن خالف منهم ما اشترط فيها فقد هتك

حرمتها(68)، والمفتوح عليه لا يهتك حرمة الشيوخ. وقد حذر العارفون من هتك حرمة الشيوخ حتى قال الشيخ الأكبر قدس سره :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة ا   فقـ ـ ـم بـ ـها أدبا بـ ـا

فمن تصدر لتلقين طريقة مع الطريقة التجانية فلا ينبغي أن يساء به الظن بافتياته فيها والتفاته عما هو مشروط فيها، إن كان ممن لا يتهم بالتساهل في أمر دينه، وعدم مبالاته بما قرره الشيوخ في طرقهم، وقد يكون تمشيهم على نهج لم يقع اشتراط تلك الشروط عليهم ممن لم يقع عليه اشتراط ذلك في نفس تلك الطريقة في مبادئ أمرها، مع أعذار أخرى ذكرنا بعضها في غير هذا الجواب.

وقد أحلنا على ترجمة الشيخ السنوسي رضي ا عنه من كتابنا رفع النقاب طبق ما نقلتموه عنا في صلب السؤال، فظهر لنا أن ننقل ما يتعلق بهذه المسألة من ترجمته المشار لها، حيث أن الجزء الذي ذكرت فيه ترجمته لم يطبع ولم ينتشر بيد الإخوان إلى الآن(69). ونص المقصود منها بعد كلام : ولا يستنكر كون طريقته على خلاف الطريقة التجانية المشهورة، فإن هذه الطريقة المحمدية التجانية بإخبار من الشيخ رضي ا عنه تفرعت فروعا كثيرة مرجعها إليها. وقد تظاهر بذلك جماعة من أهل العلم والصلاح. ولكن حجاب المعاصرة وعصبية إخوان الزمان غطى أهل الخصوصية بالإقرار لهم بتلك المزية، وربما يوسم المنتصر لهم بالنقص عن درجة الكمال في الطريق، وما ذلك إلا عن عدم الإنصاف من علماء الطريق، وإن كان ذلك منهم في حيز الرحمة بعوام الطريق، وفيه حفظ نظام الطريقة الخاصة، ولكن النفور الكبير لا يليق بذوي الحقيقة، فالوقوف مع نصح العامة بإعطاء الأدب اللائق بالخاصة فيه كمال عناية بالشيخ وأتباعه المقربين من الحضرة القدسية.

ولا يعد إعطاء طريقة أخرى قادحا في العارف المتصدر لتلقينها إلا أهل القصور الجاهلون بقدر الشيخ ومكانته وما صرح به لخاصة أصحابه وتلامذته. وهذا المقام يحتاج إلى إيضاح تام خشية الإلتباس على الخواص، ولا سيما العوام، فيتعين أن نقول أن طريقة الشيخ هي

---

(68) أخذ هذا الموضوع حيزا هاما من انشغالات العلامة سكيرج داخل الطريقة الأحمدية التجانية، وهذا لكونه من المواضيع التي ينبغي التعامل معها بحذر، كما لا ينبغي التساهل فيها أبدا على أية حالة كانت.

ومن هذا المنطلق ألف رحمه ا كتابه : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقيها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان، وهو تأليف قيم، بدأ فيه وأعاد، وأحاط بهذا الموضوع إحاطة شاملة من جميع الجهات، وأتى فيه على صحة أقواله بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، وله رحمه ا في هذا الصدد تآليف أخرى، وتقاييد ورسائل لعبت دورا هاما في تنوير القراء، وإطلاعهم على حقيقة هذه المسألة وأبعادها ومخلفاتها العميقة.

(69) مكان هذه الترجمة في الجزء الثالث من رفع النقاب، وهذا الجزء بالإضافة للجزء الرابع لم يطبعا في حياة المؤلف، بل طبعا بعد ذلك في عام 1390هـ - 1971م بمطبعة الأمنية بالرباط.

الطريقة المشهورة في زاويته بفاس. وما كان على منهاجها القويم، مما يلقنه مقدموها ومن سلك على طريقهم من قديم من غير زيادة في الأذكار، ولا اقتصار على البعض منها دون البعض في ليل أو نهار، بل أذكارها الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة الملقن للكبار والصغار، لا فرق في ذلك بين ذكور وإناث من عبيد وأحرار، فكل من تمسك بذلك بشروطه فهو على الطريقة التجانية من غير إنكار، وأما الأذكار المزيدة كيفما كانت من أذكار الشيخ أو أذكار غيره، لازمة أو غير لازمة، وكذلك النقص من أركانها على أي نوع كان أو الزيادة فيه، فليس عليه عمل الطريقة، ولا يسمى ذاكره تجانيا اصطلاحا، ولكن يسلم له في ادعائه الطريقة إن أخذ ذلك عن مفتوح عليه.

غير أنه لما كانت حالة المفتوح عليه حاجبة عن معرفته، واشتبه الأمر بسوء الظن في مدعي الفتح تعين الوقوف في نسبة الطريقة لمن سلك مع العموم، ولا يقال لمن سلك غيرها تجاني حتى لا تختلط الطرق ويفضي ذلك لاضمحلالها – وحاشاها من ذلك – نعم، الواجب هو حسن الظن بالمتصدر لتلقين طريقة ليست على قانون هذه الطريقة، والتسليم له فيما يدعيه كيفما كان من أي فريق، ولذلك أكد سيدنا رضي ا عنه على محبة الأولياء والتسليم لهم، حتى لا يقع انقطاع بسوء الظن في ا ، وا الموفق(70).

فإن قيل قد قلتم بأنه لا يصح تلقينها ولا تلقيها عمن يلقن غيرها معها من الطرق كيفما كان. فكيف العمل فيما فعله الشيوخ المذكورون ؟ قلنا إن الطريقة التجانية في أوائلها كانت مطلقة، وانتشرت بإطلاقها قبل التقييد بشروطها، فمن جاء من ناحية الإطلاق فهو على عهده، ولا يقيد عليه خشية نفوره، وهو على الأقل داخل في ضمان المحبين. ومن جاء بتلقين طريقة متفرعة عن هذه الطريقة فهو لا يعترض عليه، لأنه على يقين مما دعا إليه. غير أنه لا يسمى تجانيا اصطلاحا، ولا ينكر على من لقن الطريقة التجانية دون ما فتح عليه به. كما كان يفعل شيخنا العارف با مولانا عبد المالك المذكور رضي ا عنه، فإنه لا يلقن مع الطريقة التجانية طريقته كما بسطنا القول في هذا المعنى في غير هذا الموضوع. ففروع الطريقة التجانية تلقن وحدها، ومع غيرها دون الطريقة المتفرعة عنها التي هي الطريقة التجانية، فإنها لا تلقن إلا وحدها، ولا يضر تلقيها عمن يلقن فرعا من فروعها طبقا لما بيناه وقررناه.

ولزيادة إيضاح المقام، وكشف ما يتطرق إليه من إيهام وإزالة إبهام، نقول : لا يصح أن يسمى تجانيا اصطلاحا من تلقاها عمن يلقن غيرها، ولا يصح لمن عنده غيرها أن يلقنها، فهو مع الأخذ عنه غير تجاني اصطلاحا، لأنه مشروط فيها عدم جمعها مع طريقة أخرى ليست متفرعة عنها، فلا يصح للمريد أن يكون تجانيا شاذليا مثلا، أو يجمع بينهما وبين القادرية ونحوها.

---

(70) أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 186-188.

وقد غلط من لقن غيرها معها ممن أذن له من الشيوخ في الطريقة فظن أنه مجاز فيها، ولهذا أنكر أبو الفتح المقدم المعظم السيد الحاج محمد فتحا كنون(71) على الشيخ سيدي ماء العينين(72) في قوله : إنني مؤاخ لجميع الطرق، وقوفا مع قدم الجد في الطريقة، ونسب للشيخ المذكور الغلط في فهمه الإجازة له في تلقينها، ولم يستحضر العلامة المذكور أنه ربما حصل له الإذن في جمعها مع غيرها طبق ما كان في ابتدائها وأخذها عمن صح سندهم ممن انتشروا في الصحراء، على أنه أيضا لا ينبغي التحجير على المفتوح عليه، فهو محمول على الصدق فيما يتظاهر به، ويتعين تصديقه فيما لديه، وناهيك بالشيخ ماء العينين وما قام به من الإرشاد، وتلقينه للطريقة التجانية على أي وجه كان مما يدل على شفوف الطريقة التجانية وعلو منصبها حتى صار ينتسب لها هذا الشيخ العظيم القدر وغيره من أكابر فحول العلماء، غير أن الإصطلاح شيء والإطلاق شيء، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

السؤال الحادي عشر : أطلب من سري وسندي ونعمة الله عندي أن يأذن للعبيد في ذكر الفاتحة بنية الإسم الأعظم الذي فيه الثواب كامل، ويبين لي سيدي العدد والوقت والكيفية والكمية والمقصد.

الجواب : لاشك أيها الولي الحميم أنك عندي ممن يستحق أن يجاب لما سأله، لما تحققته فيك من الأهلية، ولقد أثر فينا تنزلك وتواضعك، فسحرتنا ببيانك، وإن من البيان لسحرا، والبيان في كل محل بحسبه، فقد تأثرنا كثيرا لاستعطافك لنا، فتعين علينا أن نصدع بالحق في جانبك، ونؤكد لك الإجابة والإذن لك فيما طلبته، فأنت مأذون عن استحقاق بالإذن الصحيح، ولله الحمد، فقد أذن لنا بقراءة الفاتحة بنية ذلك الإسم شيخنا العارف بالله العبدلاوي(73) رضي الله عنه أربع مرات دبر كل صلاة. من غير التزام فيها، فها نحن أذنا لك في ذلك بعددها المذكور، ووقته المسطور، وذلك متضمن لبيان الكيفية والكمية، وقد أذن لي فيها من غير مقصد ولا ذكر نيته، بل النية قلبية عند ذكرها، على أنها مشتملة عليه، ولك أن تقرأها ليلا، وتقرأها بالنية في الصلاة النافلة لتحصل على فضله وفضلها، فأنت أهل لذلك بين خاصة أهلها.

ولقد شرف الله الفاتحة بما لم يكن لغيرها، من الآيات التي كملت فيها حروف هذا الإسم الأعظم عند من يعتقد أنه فيها من غير شك ولا تشكيك، ولقد ذكر في جواهر المعاني عند تعرضه للكلام على فضل الفاتحة ما يفرح به المعتقد وينشرح له صدره، ويرتفع به قدره. غير أنه وقع في

---

(71) للعلامة المقدم سيدي محمد فتحا كنون عدة تقاييد في الرد على القائلين بجواز مؤاخاة الطرق في التلقين، وهو شعار نادى به جماعة من الشيوخ وقتئذ، ومنهم الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل، وقد فند العلامة سيدي محمد فتحا كنون هذه المزاعم، وبين أنها واهية، ولا تقوم على أسس معرفية صحيحة، كما أظهر جليا أن المؤخاة المذكورة ينبغي أن تتناول مواضيع مختلفة أخرى، كالتعاون والإحترام والمودة وما إلى ذلك، أما تلقين الطريقة الأحمدية التجانية مع غيرها من الطرق فهو إخلال واضح لإحدى أهم شروطها، وهو كذلك افتراء وافتيات على حرمة صاحبها وشيخها سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه.

(72) سبق التعريف به في ج 1 ص 28 من هذا التأليف.

(73) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا التأليف.

المراتب العددية إجمال يحتاج إلى تصحيح، وإصلاح الخطأ الخطي والمطبعي، وبيان ما يحتاج للإيضاح مما ذكرناه في شرحنا المعنون بتيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، وتويلفنا المسمى العقد المنظم فيما يتعلق من جواهر المعاني بالفاتح لما أغلق والفاتحة والإسم الأعظم.

ولا بأس بالإشارة إلى تحقيق ذلك هنا إتماما للفائدة، فقد ذكر أن عدد حروف القرآن على قول هو 321075 فإذا ضربته في سبعة وهي عدد الحور لكل حرف يخرج لك 2247525 وقد حصل في نص الجواهر بإفراد ألف ألف، والصواب ألفا ألف بالتثنية، ثم ذكر أن عدد حروف سورة القدر هو 360000 لكونها فيها فضل صيام رمضان. وكل يوم منه باثني عشر ألفا، وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون 2607525 يعني إذا ضربت 12000 عدد الشهور التي هي خير منها في 30 وهي عدد أيام الشهر كاملا خرج العدد المذكور. إلى أن قال : فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات.

فإذا نظرت إلى عدد الركعات وهي 17 ركعة بين النهار والليل يصير 1836 أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف، وهو ألفا ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر، إلى أن قال : الحاصل أن من قرأها في صلاة الجماعة يعطى من الأجر في اليوم الواحد 478663900 إلى آخر ما هو مذكور في هذا المحل من جواهر المعاني(74). وفيه مع غموض لا يدرك إلا باستعمال فكر واستغراق فيه، ثم يستخلص من ذلك أن الخارج المذكور ناقص في المرتبة الأخيرة. فقد ذكر الأربعة في المرتبة التاسعة، والصواب أنها في المرتبة العاشرة، مع خطأ آخر في بعض تلك المراتب الأخرى، والصواب في الخارج من ضرب 1836 في 2607525 هو 4787415900 لأن القواعد الحسابية يظهر الصواب من الخطأ بها في أجلى المظاهر. فلنعبر عن المراتب الآن بما يقربها وهو أربعة مليارات وسبعمائة مليون وسبع وثمانون مليونا وأربعمائة ألف وخمسة عشر ألفا وتسعمائة من الحور والقصور. مع الفضل المنوط بتسبيح العالم إلى آخر ما ذكره من فضل مرة واحدة من الفاتحة في الصلاة الفريضة للمصلي قائما جماعة، أما قراءتها كذلك بنية الإسم فلا يحيط بفضلها إلا ا ، فكيف لا يتحافظ المكلف على أداء فريضة الصلاة جماعة لإحراز هذا الفضل العظيم، فنحمد ا الذي من علينا بالتصديق الذي جعلنا من أهل هذه الخاصية، وله الشكر في الأولى والآخرة.

لطيفة في بيان مقدار المليار، فإنك إن نظرت ما معك من الدقائق في الساعة ثم في اليوم ثم في الجمعة ثم في الشهر ثم في العام، وجمعت تلك الدقائق إلى الهجرة المحمدية إلى هذا الزمان الذي نحن فيه لم يستوفي عدد الدقائق مليارا واحدا، من الأربع مليارات الواقعة في المرتبة العاشرة في العدد المستخرج، مع ما معه من فضل الفاتحة مرة واحدة حسبما قررناه، فلتعرف ذلك ولا تستعظمه في جانب فضل ا ، وا يوتي فضله من يشاء، وفي هذا كفاية.

(74) أنظر جواهر المعاني للعارف با سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص 149-151.

قلت : حيث كانت هذه الجواهر المنتشرة شبه جواب لكم عن كتابكم المنطوي على أسئلتكم المجاب عنها، وفيه من سحر الخطاب ما فيه مما يبرئ العليل ويشفيه، وختمته بمسودة يتعلم من اطلع عليها كيفية استجلاب قلب المسؤول للإجابة كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم، سنح لنا أن ننقلها باللفظ منا تخليدا للذكر الموجب للشكر، وربما علقنا عليها ما يخطر بالفكر. فقلتم رضي ا عنكم ما نصه.

واعلم سيدي أني ما تجاسرت على سؤال سيدي حتى رأيت قول الشيخ الأكبر قدس سره العزيز ونصه : ما من سائل عن شيء إلا وفيه أهليته للجواب عن سؤاله، وزادني إقداما على سؤال سيدي مع الإلحاح ما سمعته من سيدي وقت الوداع وهو قول سيدي بمحضر من كان وقتئذ : إنك مأذون في كل شيء سمعته مني، أو نقلته عني، أو طالعته في تآليفي، إلى آخر كلام سيدي للخديم : افتح الكتابة معنا على طريق البريد في كل شيء صعب عليك أجيبك عنه، هذا هو الحامل للخديم على سؤال سيدي. وأعوذ بجلال المتعالي من كل ما تجاوزت فيه الحد وأسأت فيه الأدب مع سيدي. إني وقفت بباب سيدي أرجو النوال متلهفا عطشانا، لا يروي غلتي إلا القبول، فها أنا منطرح بين يدي سيدي لا حركة ولا سكون ولا علم ولا عمل ولا حيلة ولا رجاء، فتدارك سيدي ضعفي وقلة صبري، وجزعي وانحياشي بكلي وكليتي لجنابكم الذي لاشك فيه عنوان شفاءي، وبرء علتي وراحتي، فافتح لي سيدي الباب، وأزل لي عن المعاني والمغاني الجلباب، وتوجه سيدي بكليتك للقلب المعنى حتى يكون أهلا لما يرجوه من سيدي.

ثم أختم كتابي بما خاطب به سيدنا أكنسوس(75) سيدنا العربي بن السائح(76) رضي ا عنه كما في رفع النقاب ونصه : والمراد الآكد من سيدي إنما هو صرف عنان عنايتكم إلينا، بإخلاص التوجه في الدعاء الصالح لنا، ولأولادنا وإخواننا في ا ، في تخليص أشباحنا وأرواحنا من شر الفتن المتراكمة الدجنات في هذا الزمان، فإنكم ترون كيف تجلى مولانا جل جلاله في مظاهر المخلوقات، فإن وخامة المآل تخشى عند نظر العاقل فاحضروا بالكم أعزكم ا ، وبالغوا في طلب الألطاف بخصوصنا وعموم ضعفاء المسلمين، فلا محالة أن هذا الأوان هو الذي قال فيه سيدنا رضي ا عنه : رأيت مولانا جل جلاله قد صاغ الوجود مصاغ الهلاك، نسأل ا العظيم بجاهكم وجاه الذين إذا نظر إليهم سكن غضبه أن يخصنا وإياكم بدوائر ألطافه، بجاه صفوة بريته، وخاصة أصحابه وذريته. آمين.

الجواب : أما ما ذكرتم من السبب الحامل لكم عن السؤال من قول الشيخ الأكبر قدس سره : ما من سائل عن شيء إلا وفيه أهلية للجواب، فنعم ما فعلتم، وإن كان المسؤول منا ليس بأعلم من السائل، وحقه أن لا يتجاسر على هذه المسائل، فإن الباع قصير، مع ما أتحققه من نفسي من الجهل المركب في جل ما أخوض فيه من الفنون المتداولة وغير المتداولة، مع الدعوى

(75) سبق التعريف به في ج 1 ص 202 من هذا التأليف.
(76) سبق التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا التأليف.

الصريحة التي أدعيها لنفسي وينسبها إلي غيري، وما هي إلا محنة في حقي، ولكن في بعض الأحيان أراها منحة لا أوفي حق شكرها، حين يتم النفع بها لمن قدر ا له ذلك، فالشيخ الأكبر قدس سره عبر في كلامه بأهلية السائل للجواب، ولكن بالنظر لاستحقاق المسؤول لعرض السؤال عليه، أما إذا كان المسؤول بخيلا أو جهولا فقد وقع الشيء من الجانبين في غير محله.

ولكن هناك لطيفة وهي أن السؤال يقضي بالإجابة، فلابد من أن يقيض الحق من يجيب عن ذلك السؤال ولو بعد حين، ولربما نفذت همة السائل في المسؤول حتى يصدر منه الجواب طبق المراد، ولو كان السؤال من الجانبين في استبعاد، فلابد من الجواب عنه بما ينفع السائل أو يضره، مع ملاحظة أدب السؤال وشروطه المقررة، فرب سؤال لا يجاب عنه بحال، وقد يقضي الجواب باختلاف ما عند السائل من اختلال، ولذلك ورد النهي عن كثرته بقوله (ﷺ) : إن ا نهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال، وقال : إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، لأن الأنبياء عليهم السلام يجيبون إذا سئلوا، ويعرضون عن السائل في بعض الأحيان لحكمة تقضي بالإعراض عنه حتى يصدر الإذن الغيبي لهم بإجابته، فيقع الجواب منهم له مما لابد منه بالإلزام بمتعين تلك المسألة، فبأهلية السائل للجواب عن سؤاله كان سؤاله معروضا لسوق البضائع الفكرية وحضرة الفيض الرحماني للقبول والرد بحسب القصد.

وكل عارف بما وقع السؤال عنه ولم يجب عنه إذا ألقي عليه، لا ينبغي له أن يعرض عنه خشية الدخول في وعيد : من سئل عن علم فكتمه ألجمه ا بلجام من نار، إلا لعذر مقبول شرعا، وأما ما سمعتم منا من قول العارف با سيدي العربي بن السائح رضي ا عنه، فذلك صحيح طبق ما حدثني به سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي، بحيث كانت في باله مطالب يريد سؤاله عنها، فشعر الولي المذكور منه بالحياء المانع من طرح سؤاله، فقال له في مذاكرة : إن الشيخ رضي ا عنه كان يقول : أنا أحب من يسألني، فرفع بذلك ما كان يمنعه من سؤاله، وفرح بذلك، فسأله عن مطالبه، وحدثني رضي ا عنه بهذا حين رأى مني الحياء المانع من سؤالي له، فصرت من ذلك الوقت أسأله عن كل ما خطر ببالي، فيجيبني طبق سؤالي.

وفي غالب الأحوال أوجه الهمة إليه بالسؤال من غير تصريحي له به، فيفتح باب المذاكرة معي فيما يؤول إلى الجواب عما وجهته إليه باطنا عن كشف لا يحب أن يتظاهر به رضي ا عنه ونفعنا به، وإنما أخبرتك بهذا قصدا لنفعك، لتحقيقي باستحقاقك لما عرفته منك، والحياء يمنعك من السؤال عنه، والحياء لا يأتي إلا بخير طبق ما ساقه إليك، ولم أكتفي بالإشارة التي عملت بمقتضاها، بل صرحت لك بما رفع عنك ذلك الحجاب، مع قصد أمور منتجة لكمال السرور، وقد كان الإمام الشافعي(77) رضي ا عنه يقول فيما نسب إليه من أبيات :

(77) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، وإليه ينسب المذهب الشافعي، ولد بغزة بفلسطين عام 150هـ، وتوفي بمصر عام 199 هـ، وقبره معروف في القاهرة، وله تصانيف كثيرة منها : الأم، في علم الفقه، في سبع مجلدات، والرسالة، في أصول الفقه، وأحكام القرآن، والمسند في علم الحديث، واختلاف الحديث، وفضائل

فإن يسر الله الكريم بفضله وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا و استفدت ودادهم و إلا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ولقد سرني كثيرا ما نقلتموه عن رفع النقاب من الرسالة الكنسوسية، فإني نقلتها في الكتاب المذكور ليقف عليها من رجوت من الحق أن ينفعه بها، وقد حققت الرجاء بانتفاعكم بها، ودليل نفعكم هو نقلكم منها ما ذكرتموه، وبمثل تلك النية نقلت منا ما جعلناه في هذه الخاتمة نفع ا بذلك الجميع بجاه النبي الشفيع (ﷺ).

استدراك : قد ختمتم كتابكم بالاستدراك الذي أخبرتمونا فيه بأنك أعملت الفكر في قصيدة تمدحنا بها، فإذا بالقريحة نضب ماؤها، وتركت الأمر وأسلمت القياد لمن بيده مقاليد الأمور. وهو مقلب القلوب، ثم قلتم فوجه وجهتك سيدي لباطني حتى أستطيع حل المشكلات، وفك المعضلات، وأنطق بالحكمة كيف أشاء، في الوقت الذي أشاء. واجعلوني عندكم من الأخيار الذين قال الشيخ رضي ا عنه فيهم : العارف إذا جالس الأخيار يقال له من حضرة الغيب : هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب، فالرجاء في ا أن أكون من هذه الزمرة حتى أتحف بما هنالك، وما ذلك على همة سيدي النافذة بعزيز، والسلام عائد عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

فعليكم السلام والرحمة التامة والبركات العامة أولا وآخرا، فإني أيها الولي الحميم في خجل مفرط مما تظنونه فينا، وقد رفعتمونا فوق قدرنا إن كان ثم قدر، وعظمتمونا في نفسنا في السر والجهر، فاحذر أيها المحب الصادق من الإغترار بي حتى لا يصدق علينا جميعا ما يقال في

قريش، وأدب القاضي، والسبق والرامي، وغيرهم.
وللحافظ عبد الرؤوف المناوي كتاب في التعريف به سماه : مناقب الإمام الشافعي، وللحافظ بن حجر العسقلاني تأليف فيه عنوانه : توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 1 ص 185، وفي تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 329، وفي إرشاد الأريب لياقوت الحموي ج 6 ص 367-398، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 2 ص 95، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 9 ص 25، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 1397، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 251، وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 140، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 2 ص 56-73، وفي الإنتقاء لابن عبد البر ج 66 ص 103، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 26.

هذا الأمر : استمسك غريق بغريق في واسع البحر، على أن نيتكم الصالحة لابد أن تنتج لكم من حضرة الغيب ما لم يكن لكم بحساب.

وقد ورد في بعض الآثار : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، ولاشك أن همتكم النافذة في خرق عادة الشخص في الشهود، لا يحتاج فيها إلى إقامة الشهود، يمدها ا من حضرات الإحسان بما يتحقق به الظن فينا وفيكم ببلوغ المقصود، وقد قالوا : إن لسان الخلق أقلام الحق، فيخلق ا طبق ما جرت به الألسنة، مما لا يكون له استعداد في الأزمنة والأمكنة، ولو كان لي أمر من الأمن أو أمن من الأمر لكنت ممن لا يبرح على إدخال السرور عليكم، عاكفا بالدخول بكم للحضرة التي بابها في قبولكم، وأمكنكم بمفاتح كنوز المواهب طبق ما أنت فيه راغب، وفوق ما له طالب. فتنال ما شئت وفق ما تشاء.

على أني وإن لم أكن بهذه المثابة فإني أرجو ا أن يمنحك،وأن لا يمنعك، فبيده الخير كله، وأما ما أعملتم فيه فكركم من القصيدة التي أشرتم لها، فالشعر قيمته بالسعر، فلا تكن ممن يتسارع إلى إظهار ما تنسجونه على منوال القريض بدون مراعاة قواعد العروض، ولا ترفعوا به قدر من كان مثلي من الحضيض لأرفع مكان، وقد قيل :

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تكن بالغت في تهذيبها
ومتى تقول الشعر غير مهذبا قالوا لديك وساوس تهذي بها

وكم من قصيدة أطلعني عليها الأحباب فلم ترقى في نظري، وهم بها معجبون، فنصحت لهم في السلوك بها على الطريق الصحيح بالتعلم منشدا لبعضهم :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فمنهم من قبل النصح فنجح سعيه، ومنهم من لم ينجح فيه، فإن أنت عرفت العروض، وقمت بحقه المفروض. فاجعل جميع أمداحك في الحضرة المحمدية، فهي تجيزك بالجائزة السنية، وأدخلنا معك في الإستعطاف، وكن من أهل الإسعاف في ذلك لا ممن يجنح للإعتساف. وغالب من لا يتعلم هو الذي يقف على معلوماته، ولا يرضى بالتعلم أو السؤال عن مجهولاته، فيخشى من التنكيت عليه، ولا يحب أن ينسب الخطأ فيه إليه.

وقد كان حدثني شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس(78) رحمه ا أن بعض الشرفاء من سكان مدينة زرهون، كان يتعاطى الشعر ولا يحسنه، وهو معجب بما يقول، وكان الطلبة يضحكون مما ينظم، لكونه لم يتلقى ذلك عن معلم، فحصلت له عليه غيرة، فاستدعاه إلى محله من غير أن يعلم بذلك غيره، ثم تذاكر معه فيما به نفعه، وبين له أن للشعر ميزانا يوزن به النظم، وما لقائله من جودة فهم، وأوقفه على السقطات الموجودة في قصيدته، وأن تلك الجماعة التي يعرض عليها نظمه على الإستهزاء به مجتمعة، وبغير ما يبطنونه في حقه متظاهرة، فشكره

---

(78) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا التأليف.

الشريف على نصحه، ولازمه حتى ظهرت عليه علامة فتحه، فبين له ما كان عليه من سوء الحال في نظم ذلك الشعر الذي كان مغرما به، وهو لا يعد حتى من وزن الأزجال، فنبغ في الشعر، وتعجبت منه تلك الجماعة التي لم تشعر بمن سلك به في ذلك المسلك الوعر.

والشعر صعب وطويل سلمه	إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه	يريد أن يعربه فيعجمه

وقد ألفت في هذا الفن شرحا لطيفا لأرجوزة ابن العم الأعلى محمد بن الطيب سكيرج(79) رحمه ا ، سميته : منهل الورود الصافي، والهدى من فتح الكافي، في علمي العروض والقوافي، يكفي مطالعه عن الشيخ، وإلى الآن لم يطبع، وهو في نحو العشرة كراريس، ألبسه ا حلة القبول آمين.

ولنا أيضا أرجوزة في فن القرض على نية التعليق عليها، وطبعها، يسر ا ذلك، وقد خرجنا في هذه الأجوبة عن الموضوع قصد الإفادة، وإتمامها وفق الإرادة، وا ينفع السائل والمسؤول، ولمن دعا لهما ببلوغ السول والمأمول، وا يأخذ بيد الجميع، بجاه النبي الشفيع، صلى ا عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد رب العالمين.

(79) سبق التعريف به في ج 1 ص 11 من هذا التأليف.